الثورة الظافرة



احمد محمد شاموق

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

* في تاريخ السودان ثورات كثر وإنتفاضات عديدة، إلا أن ثورة أكتوبر ١٩٦٤م، لاقت مكاناً مرموقاً في نفوس السودانيين وروج لها العديد من منسوبي القوي السياسية بمختلف مشاربها، بل مشوا أبعد من ذلك عندما حاول الجميع، إدعاء أنه كان له القدح المعلى في تفجيرها وقيادتها وهي ككل القضايا السياسية في السودان، ظلت محل تداول وصراع من حيث أسبابها وظروفها وسيرتها ونتائجها.

الأستاذ أحمد محمّد شاموق قام في هذاالكتاب برصد دقيق لما يسمي «بدراما» الأحداث، من موقعه آنذاك كطالب في الجامعة، ثم من موقعه اللصيق بعدد من زملائه وأساتذة الجامعة والقوي السياسية.

الكتاب قصة ثورة مشوقة، سلسة، مليئة بالتفاصيل اللازمة لفهم الأحداث. قد لا يكون الكتاب تقييمي، بقدر ما هو توثيقي وموضوعي.

أيضاً يحمل الكتاب بين دفتية، ذكريات ذلك الجيل «المحظوظ» الذي شهد تلك الأحداث، وصنعها داخل مجتمع الجامعة. كما يعكس للجيل الحالي الطبيعة التاريخية لجامعة الخرطوم ذات المكانة النفسية في نفوس الشعب السوداني، آنذاك، يأتي هذا في ظل متغيرات كثيرة.

نحن إذ نعيد طباعته للمرة الرابعة نجد أنفسنا نقدم ونؤدي مهمة راقية لهذا الجيل

<u>محمّد محمد أحمد كرار</u>

<u>شركة دار البلد للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع</u>



الثورة الظافرة

الطبعة الثالثة ١٤١٩ – ١٩٩٨

الطبعة الاولى ١٩٦٩
الطبعة الثانية ١٩٨١

الثورة الظافرة

ست سنوات عجاف
ثـورة الطـــلاب

احمد محمد شاموق


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

تصدر الطبعة الثالثة من كتاب (الثورة الظافرة) بعد ٣٠ عاما من صدور الطبعة الاولى، وهذه الاعوام تعتبر عمرا ليس بالقصير. وهو عمر تقادم بالثورة حتى أن نحو ثلثي اهل السودان اليوم لم ينعموا بيوم واحد من ايامها المجيدة، وحتى لم يعد يراها الذين عاصروها الا من وراء ضباب كثيف.

لم يبق من اكتوبر ما يمكن ان يؤبه له.

قال البعض ان ثورة اكتوبر اجهضت، وماتت، لانهم فصلوها على حجم معتقداتهم السياسية، وكل ما لم يناسب حجمهم اعتبروه كان لم يكن.

وراى البعض ان اكتوبر خرجت بهم من شرنقة الطفولة إلى وعي الادراك.

وكانت اكتوبر بالنسبة للبعض محطة عابرة، اعادت لهم بقايا امجاد غابرة. لم تكن بالنسبة لهم حلما او املا او اغنية خضراء، وانما كانت حصانا امتطوه إلى عتمة الماضي.

* * *

ثورة اكتوبر لم تكن ثورة جياع ، فقد كان الشعب يعيش حياة عادية، إن لم نقل ان فيها من (البحبوحة) اكثر بكثير مما عايشوه في كل العهود اللاحقة.

لكن نشات أجيال جديدة لم تكن تهمها لقمة العيش بقدر ما تهمها شعارات الحرية والمساواة والبحث عن فردوس مفقود.

أجيال من المتعلمين والعقائديين حسبوا ان الاستقلال باب سيدخلون منه الى ابهاء النعيم المقيم، وما ظنوا ان السياسة و(حشرجات) العالم الثالث يمكن ان تحبط الآمال وتقتل الطموحات.

* * *

بدات ثورة اكتوبر من بوابة الجنوب، ومن هروب وليم دينق الى الامم المتحدة على وجه الخصوص،

ولذلك لم يكن غريبا أن يتفاعل الجنوب مع الثورة، باحزابه وجماهيره.

ولم يقف الانفجار (الجهوي) على الجنوب فقط، وانما برزت الجهوية بكل عنفوانها في الشارع السياسي، متمثلة في اتحاد ابناء جبال النوبة، ومؤتمر البجا، وجبهة نهضة درافور.

ازدهرت هذه الكيانات الجهوية السياسية والاجتماعية، وكانت إحدى المنغصات والمحبطات بعد الثورة .

* * *

وبعد اكتوبر انفجر المد اليساري الذي كان يترائى في الافق منذ سنوات مضت :

ابتلع كثيرا من جزر الطائفية،
وتسلل إلى اوكار المثقفين،
ورفع عصا العمال في وجه السلطة،
وعبر عن نفسه بطلاقة في المسرح والادب والشعر،
ولون الخرطوم بشعارات المستقبل،

ومع انهم بداوا غزلا مع الفريق ابراهيم عبود قبيل اندلاع ثورة اكتوبر، الا انهم اقنعوا الشارع بانهم هم اصحاب تلك الثورة بقوة ماكينتهم الاعلامية،

ومع ان الفنان محمد وردي لحن نشيد (اصبح الصبح فلا السجن ولا السجان باقي) لاكمال مهرجان الغزل مع عهد الفريق، الا ان الموجة تباطأت في سرعتها فقدمته مع بدايات الثورة،

غنوا للثورة (اكتوبر الاخضر)،
وانشدوا لاكتوبر (اصبح الصبح)،
وهتفوا بالثأر للقرشي،
وطالبوا بمحاكمة الفريق عبود ورجاله،

وعباوا الشارع ضد المعونة الامريكية، وضد البنك الدولي، وضد ماكنمارا شخصيا،

وهي كلها مؤشرات لنوع الثقافة السائدة آنئذ،

هي ثقافة اليسار، ولكنها تمددت لتصبح ثقافة الجميع،
وكانت لغة المثقفين،
ولكنها اصبحت لغة الجمهرة الغالبة في الشارع.

* * *

قد يحلو للبعض أن يتساءل :
لماذا المد اليساري بعد اكتوبر، والمد الاسلامي بعد ابريل؟
وقد يتساءل البعض ايضا :
لماذا اختار مجتمع الثورة السياسي، اليساري الملامح، سر الختم الخليفة ذا النزعة اللبرالية، رئيسا لحكومة اكتوبر، بينما اختار نفس المجتمع السياسي اليساري، الجزولي دفع الله ذا النزعة الاسلامية رئيسا لحكومة انتفاضة ابريل؟
وتساءل بعض المغرمين بالتساؤل :
هل هناك وجه شبه بين ثورة أكتوبر والثورة الفرنسية ؟
الثورة الفرنسية احدثت تغييرا راديكاليا في فكر الناس، فهل عملت ذلك ثورة اكتوبر؟
إذا كانت الاجابة بنعم، فلماذا عاد الجيش للحكم بعد خمس سنوات ؟ ثم تكررت العودة بعد عشرين عاما ؟ إذن هي مقارنة في غير محلها، ولا تعدو ان تكون لغوا من احاديث المثقفين غير المتوازنة احيانا ..

* * *

في السودان كانت امنياتنا وطموحاتنا دائما اكبر من أعمالنا،
في اكتوبر كان اليسار يطمح لأن يحكم السودان، ولكنه كان طموحا ينقصه التقدير، وتنقصه الخبرة، وتنقصه الحكمة،
كان طموحا يقوم على الايهام والفهلوة والمغامرة، ولذلك كانت اقل العقبات المرتبة تربك حساباته :
استقال حافظ الشيخ من جبهة الهيئآت فلفظت الجبهة انفاسها،
واستقال سرالختم الخليفة من حكومة اكتوبر الاولى، فسقطت حكومة (اصلب العناصر).

* * *

ومزيد من التساؤلات :

هل ثورة اكتوبر – كحدث – يستحق أن يثير كل هذه الضجة؟

أن نزيح عبودا لنأتي بعبود آخر بعد خمس سنين .. هل يستحق كل هذه الضجة؟

ثم بغض النظر عن مجيء عبود الثاني، هل تستحق (شيلة) عبود كل هذه الضجة؟

هل انفرد عبود من دون سائر الانظمة بالسوء للحد الذي نلطخ تاريخه بكل هذا العار؟

مدني عسكري .. عسكري مدني .. هل تستحق كل هذه الضجة ؟

هذه الدوائر الجهنمية أصبحت الآن ثلاثا هل سيتصاعد عددها الى ما لا نهاية ؟

* * *

ويزداد إلحاح التساؤلات :

إبداع أكتوبر من اشعار واناشيد ممتلئة وقوية أثرت في مزاج الناس، ومازالت محفوظة في ذاكرة حتى أولئك الذين لم ينعموا بالحياة ايام الثورة .. أبريل لم نسمع له أناشيد .. ألا تلاحظون ذلك ؟

المسرح تأثر بهذه الفترات العسكرية، المسرح يزدهر في جو الحرية وليس في الديموقراطية : فالمسرح في عهد النميري ازدهر على مستوى الرمز وعلى مستوى سينوغرافيا العرض، والمواضيع التي طرحت مثل (نبتة حبيبتي) و(حصان البياحة) .. الا تعني ان التجديد في المسرح السوداني تم في عهد الأنظمة العسكرية ؟

وعندما جاءت الديموقراطية في أبريل كان (ترمومتر) المسرح في هبوط لدرجة أننا تساءلنا .. هل حصل للمسرحيين نوع من الضمور الفكري ؟

وتساءلنا .. هل الحرية هي الديموقراطية ؟ بمعنى هل (انحلت) قضايا الابداع بمجيء الديموقراطية؟

والآن – في عهد الانقاذ – بدأ المسرح في الصعود، وبدأ يعطي اشارات دالة على ان للمسرح دور يمكن ان يؤديه في النقد

الاجتماعي والسياسي حتى في ظل العهود العسكرية، والناس يتفهمون هذه الاشارات وهذه الدلالات، ويتجاوبون معها.

* * *

النموذج الذي تركته أكتوبر نسخ منه الشارع نسخة أبريل بعد ٢١ سنة،

وفي الواقع لا تزال هناك محاولة بائسة لعمل نسخة ثانية، هل يكرر التاريخ نفسه بهذه البساطة المخلة ؟

والى اين ستوصلنا هذه الدورة الجهنمية : من الديمقراطية الى العسكرية، ومن العسكرية الى الديمقراطية .. الخ ؟

فالديمقرطية في السودان ضعيفة الاساس والمنشأ والمؤسسات،

ولأننا لم نعالج علل الديموقراطية،

ولأن الحكم العسكري كان يبدو في ظاهره أقوى، و(عضمته) امتن، ومدته أطول،

يبدو ان الامل يضعف مع اشراق كل صباح جديد في حياة سياسية ديمقراطية مستقرة،

فكلما تطاول الزمن يزداد عدد الذين قضوا جل اعمارهم تحت مظلة نظام عسكري،

والمسافة تزداد كل يوم بين عدد السنوات التي حكمتها أنظمة عسكرية قوية وبين تلك التي حكمتها أنظمة مدنية هشة،

حتى الآن حكمتنا الانظمة العسكرية ٣١ عاما، بينما حكمتنا الانظمة المدنية اثني عشر عاما،

وبحكم هذا المعادلة الزمنية نجد السودان مجذوبا الى الانظمة العسكرية اكثر مما هو مجذوب الى الانظمة الديموقراطية،

واذا اراد احد ان يقلب هذه المعادلة، فسيحتاج إلى عمل فكري مرتب وعميق وثورة ثقافية كبرى.

* * *

وبعد ..

تصدر الطبعة الثالثة من هذا الكتاب، والمجتمع منغمس في

محاولة لايجاد نظام ديمقراطي تعددي يكون احد اهدافه اخراج البلاد من دوامة (التعددية - الانقلاب - الثورة)، وهي محاولة قد تأطرت هذه المرة اكثر من غيرها من مرات سابقات.

تلك خواطر عن الثورة عنت لي وانا اقدم كتاب (الثورة الظافرة) للمرة الثالثة الى المطبعة، وهناك كلمات قلائل اقولها في نفس المناسبة عن الكتاب،

سيجد القارىء الكريم ان قلمي لم يدخل بالتغيير في متن كتاب الا في الحدود الدنيا والتي لا تذكر، مع انني كتبته قبل نحو ثلاثين عاما. حتى الاسماء التي كانت سائدة يومها مثل كلمة (بوليس) و(شاويش) و(داخلية) و(قائمقام) و(اميرالاي)، كلها اسماء ومصطلحات لم تعد تستخدم الآن .. تركتها كما هي.

وسيلاحظ القارىء الكريم كذلك ان الاسلوب هو اسلوب فتى في السادسة والعشرين، فضلا عن انه اسلوب تلك الايام، فلم الجا الى تغييره .. فاسوق لذلك المعذرة.

المؤلف

الخرطوم - يونيو ١٩٩٨

مقدمة الطبعة الاولى

ربما لم يحس الناس بالتغيير الكبير يشق طريقه من حياتهم. ربما انطفأ الأمل الذي كان يراود الجماهير من تغيير جذري في الحياة. ربما أحس الناس بالتقهقر والرجعة الى ما قبل نوفمبير ١٩٥٨ حيث الاحزاب والضلال والتيه.

ثورة اكتوبر اضحت طفلا يتيما بلا راع يرعاها ولا حام يحميها. لم نحتفل بذكراها الاولى والثانية والثالثة .. ولن نحتفل بذكراها الخامسة والسادسة .. والعاشرة الا كما نحتفل بعيد ميلاد الطفل اليتيم المسكين التعيس ٠

لو قامت ثورة شبيهة بثورة اكتوبر في الشرق الاوسط او الغرب .. ثورة شعب اعزل اسقط بارادته القاهرة حكومة لم تؤمن الا (بالضرب بيد من جديد على ايد المخربين).. لو وقع هذا الحدث في اي بقعة اخرى من بقاع العالم لاخرجت المطابع بعد كل عام يمر عشرات الكتب والدراسات عنها : ارهاصاتها .. طبيعتها .. نجاحها .. قصتها كاملة .. وكل شيء عنها ، ولكنها (ويا خجلتنا) لم يكتب عنها ولا كتاب يذكر. ولم تخرج عنها ولا دراسة تذكر.

لذلك ابتعدت الثورة عن وجدان الشعب. لم يبق في ذهن الانسان السوداني من ذكرى الثورة الظافرة الا يوم من تعطيل العمل في السودان بمناسبة (الذكرى المجيدة) ٠

ولكن مهما يكن من مصير الثورة وواقعها الان فان احداثها يجب ان تسجل ، وان تسجل تسجيلا دقيقا ٠ لانها من نتاجات العبقرية السودانية ٠ ولانها نموذج من العمل الوطني الاصيل الفريد. لم نقلد فيه الاخرين. ولم نستورد فيه اصلا ولا فرعا .. ولانها وحدت السودان : شماله وجنوبه ، يمينه ويساره ، كباره وصغاره ، نساءه ورجاله.

كل الشعب كان قائدا للثورة. لم يتخذ الشعب له قائدا مفردا مسبقا،

ولم يبحث عن القيادات السابقة، ولم يبحث عن الأحزاب، انما كان يبحث عن السودان. السودان فقط. كان السودان هو القائد. كان السودان روحا مستلهما يوجه كل فرد من الشارع السوداني الى الطريق.

وكان درسا اضاف الى حصيلة المعرفة الإنسانية فصلا جديدا. فصلا في تعلم قهر الطغيان مهما تعالى ضجيجه وعظمت حدته. فصلا يحكي قصة الشعب الاعزل الذي ملأ الشوارع متدرعا بايمانه وارادته.

وهذا الكتاب محاولة لتسجيل احداث الثورة كما هي. كان في ذهني وانا اجمع هذه الأحداث وارتبها واسجلها ان اتجنب مزلقين :

- ان اتجنب اان اصدر حكماً شخصيا على شخص او جماعة او هيئة. وان اكتفي فقط بسرد الاحداث ومسبباتها وتعليلاتها ونتائجها. وابراز وجهات النظر المختلفة في كل حدث بذاته.

- وان اتجنب ان انحاز لأي شخص او جماعة او هيئة معينة. ولاسفي الشديد فان معظم ما رجعت اليه مما كتب في الصحف والمجلات السودانية عن الثورة في مناسبات إحتفالاتها السنوية .. كان قد كتب تدعيما لوجهة نظر او تاكيدا لراي او خدمة لقضية من قضايا السياسة السودانية المعقدة اشد التعقيد الحساسة اشد الحساسية. وان اتجنب اي تلوين للحقائق بغرض ابراز صورة من الصور غير المرضية، يضر بالبحث ويتجه به الى القصور والتهافت والضياع.

والكتاب بجملته محاولة للتخفيف من وقع الاحتكاكات التي حدثت بين من يمثلون الأراء المختلفه. محاولة للاعتدال في عرض الاراء لان حساسية الوضع السياسي الذي تمخض عن ثورة اكتوبر وما يكتنفه من صراعات عنيفه، جعلت الناس يضعون كل كلمة في ميزانهم الحزبي الضيق الذي يقسو في حكمه احيانا الى الحدود القصوى.

والكلمة الأخيرة عن مصادر البحث.

خلت المكتبة السودانية خلوا تاما من اي اثر يتحدث عن السنوات

العشر الأخيرة من تاريخ السودان ماعدا كتاب واحد هو (ثورة شعب) الذي اصدره الحزب الشيوعي. والكتاب عبارة عن منشور حزبي يحكي قصة النضال ضد الحكم العسكري من خلال وجهة النظر الحزبية الشيوعية. ولكن ذلك لا ينقص من قيمة المعلومات والوقائع التاريخية الواردة فيه. وقد أعتمدته كمرجع رئيسي. واعتمدت بجانبه على نشرات أصدرها أتحاد طلاب جامعة الخرطوم، وما ورد في الصحف في أوقات متفاوتة، ثم بعض المقابلات مع شخصيات وطنية لها علاقة بالموضوع.

والله الموفق

المؤلف

الخرطوم ١٩٦٩

ست سنوات عجاف

ست سنوات عجاف

في صباح يوم ١٧ نوفمبر ١٩٥٨ اذاع الفريق ابراهيم عبود في خطابه الاول الاوامر الثلاثة التي كانت فاتحة الحكم العسكري والمختصة بحل جميع الاحزاب السياسية، ومنع التجمعات والمواكب والمظاهرات في كل مديريات السودان، وايقاف جميع الصحف ووكالات الانباء والمطابع الى حين صدور اعلان اخر من وزير الداخلية.

ثم صدرت بعض الاوامر الدستورية : الامر الاول يعلن قيام حالة الطوارئ في جميع انحاء السودان بموجب المادة ٢ من قانون دفاع السودان. والامر الثاني ايقاف العمل بدستور السودان المؤقت، وحل البرلمان السوداني ابتداء من ١٧ نوفمبر ١٩٥٨ .

ثم تتابعت الاوامر المدعمة للحكم العسكري والتي تجرد الشعب من ادواته الرئيسية لاقرار نظام ديمقراطي يقوم على الحرية والديموقراطية والعدل.

وقبل ان ينقضي اسبوع واحد من الانقلاب صدر قانون دفاع السودان لعام ١٩٥٨ الذي يوقع عقوبة الاعدام او السجن الطويل لكل من يعمل على تكوين احزاب او يدعو لاضراب او يعمل على اسقاط الحكومة او يبث الكراهية ضدها.

ثم صدرت (لائحة دفاع السودان لعام ١٩٥٨) التي تخول لوزير الداخلية سلطة مراقبة الرسائل البريدية خاصة او غير خاصة، ومراقبة الصحف وكافة المطبوعات، وارغام المواطنين على الادلاء باي معلومات يطلبها البوليس، و اعلان حظر التجول في اية منطقة، ومنع المواطنين من مغادرة السودان، ومنع دخول اي جرائد او مطبوعات الا باذن، ومنع تنظيم المواكب، وتفتيش اي منزل او مبنى او عربة او طائرة بواسطة اي ضابط او جندي او رجل بوليس، وبالقوة اذا لزم الامر، وفي اي ساعة من ليل او نهار، واعتقال اي

مواطن بدون امر قبض.. (و سوف لا يكون ضروريا ان يقدم للقاضي اذا كان من راي وزير الداخلية ان ذلك سيكون مناهضا للسلامة العامة، ولوزير الداخلية في هذه الحالة ان يامر بحفظ هذا الشخص لاي مدة يراها مناسبة).

استقبل الشعب الانقلاب العسكري بشيء من البشر والترحاب والامل في ان تجد البلاد على ايدي رجال الجيش ما يقيل عثرتها وينقذها من تلاعب السياسيين وتسابق الاحزاب للكسب الحزبي الضيق بشتى الطرق والاساليب المشروعة منها وغير المشروعة.

لم يكن تنافس الاحزاب من اجل اصلاح الوضع الداخلي في السودان، ولا من اجل حفظ استقلال البلاد وتقدمها، ولا رغبة في صالح الشعب المفتقر الى البئر و الشفخانة والمدرسة ولقمة العيش، لكنه جري وراء كراسي الحكم والنفوذ والسيطرة على موارد الدولة وامكاناتها وتحويلها للمنافع الشخصية .

بهذا الامل والتطلع استقبل الناس اول العهد العسكري. وزاد الناس اطمئنانا بهذا الامل مباركة السيد عبد الرحمن المهدي راعي الانصار والسيد علي الميرغني راعي الختمية للحركة العسكرية.

واعتمادا على تطلعات الشعب وآماله في ان يقوم النظام الجديد بخطوات ايجابية في سبيل تغيير جذري، التزم الناس جانب الهدوء والسكينة حتى تتاح الفرصة الكافية لرجال الجيش. فقد خطا قادة الانقلاب خطوات واسعة لتغيير وجه الحياة السياسية، وسعوا في خطوات مركزة لتثبيت اقدامهم.

الصحافة

بعد ان حل البرلمان، وعطلت الاحزاب والهيئات والاتحادات، ومنعت المظاهرات، كان اخطر جهاز ما زال يسبب قلقا للحكومة هو

جهاز الصحافة. لم يكن امام الحكومة الا ان تتقدم خطوة الى الامام، الى الامبراطورية العريقة .

في المؤتمر الصحفي الاول الذي عقده الفريق ابراهيم عبود في الاسبوع الثاني بعد الانقلاب قال للصحفيين : (لا تكتبوا اي شيء ضد سياسة الحكومة، ولا تنتقدوا اعمالها في الامور الداخلية والخارجية، ولا تكتبوا شيئا عن الاحزاب السابقة او الطوائف).

وكتبت جريدة الايام تتحدث عن مؤتمر عقده وزير الداخلية (اعلن وزير الداخلية في مؤتمره الصحفي انه لن يتوانى عن قفل اي جريدة او تقديم محرريها الى المحاكم اذا حاولت الصحف ان تثير الشكوك حول اهداف الحكومة).

وقد واجهت الصحافة صعوبات عملية في تطبيق تلك التوجيهات، وطلبت من الدولة ان تفصل تلك التوجيهات، وان تضع حدودا وقواعد واضحة تطبقها الصحف عند النشر، فاصدرت وزارة الداخلية الامر التالي (ان تدعم الصحف الثقة في النظام الجديد لا ان تقوضها او تثير السخط او تثير الاحتقار ضد الحكم الجديد. وان تشير الصحف الى الاخطاء التي وقعت في العهد الماضي وتستنبط منها دروس المستقبل، ولا ترد الصحف على اي هجوم وجهته دولة ما او صحافتها الا بالتشاور مع وزارة الداخلية).

والصحف التي لا تظهر ادق الالتزام بهذه الاوامر فمصيرها معروف ..

فقد عطلت صحيفة (الميدان) لسان حال الجبهة المعادية للاستعمار، وصحيفة (الاخوان المسلمون) لسان حال حركة الاخوان المسلمين، وصحيفة (الطليعة) لسان حال اتحاد نقابات عمال السودان. عطلت هذه الصحف تعطيلا نهائيا الا انه سمح للاستاذ صادق عبد الله عبد الماجد ان يصدر صحيفة اخرى وباسم اخر. فاصدر صحيفة

(البلاغ) الاسبوعية التي عطلت بعد شهر واحد من انشائها تعطيلا نهائيا ايضا.

عطلت صحيفة (الايام) في يناير عام ١٩٥٩ لانها نشرت حيثيات الحكم في قضية الشفيع احمد الشيخ . ثم عادت للظهور. وعطلت مرة اخرى لاتخاذها موقف المعارضة ونشرها مذكرة زعماء المعارضة في نوفمبر عام ١٩٥٩. ثم اعيدت لها شرعيتها، فانذرت مرة لانها نشرت اعلانا عن مواطن سمى ابنه باسم احد زعماء المعارضة (١). وارسل امر يمنع اي اعلان عن مولود يحمل اسما سياسيا. وانذرت مرة اخرى لانها كتبت في مناسبات مختلفة العناوين التالية : (طار الرئيس عبود ورفاقه الى اثيوبيا) و (حريق في وزارة الاستعلامات والعمل) و (انقلاب ١٧ عربة في خط بورتسودان). وهددت وزارة الداخلية جميع الصحف بالتقديم للمحاكم اذا فهم من العناوين تلميح بالسخرية او تعريض بالحكومة.

وعطلت صحيفة (النيل) لانها نشرت مقالا عن الديموقراطية. وقدمت صحيفة (السودان الجديد) للمحاكمة وغرم رئيس تحريرها خمسين جنيها مع الانذار النهائي لنشرها ما دار في محاكمة قضية سياسية في يناير ١٩٦٠. ولما منعت وزارة الداخلية الصحف من الاشارة الى اي خبر عن مشكلة مياه النيل او مشكلة الحدود في حلايب، نشرت (السودان الجديد) في حيز صغير ان الجانب السوداني سيتطرق لمشكلة الحدود فصدر الامر بتعطيلها.

في اول يونيو ١٩٦١ نشرت (الراي العام) خبرا يشير الى الانذار الذي وجهته نقابة السكة حديد الى المصلحة . وفي اليوم التالي عقد اللواء محمد طلعت فريد وزير الاستعلامات والعمل مؤتمرا صحفيا هدد فيه (الراي العام)، وتسلمت الصحف امرا بعدم الاشارة الى اضرابات العمال الاعن طريق البيانات الرسمية.

وبعد اضرابات السكة الحديد التي دامت اسبوعا عقد اللواء محمد طلعت فريد وزير الاستعلامات والعمل مؤتمرا صحفيا حمل فيه الصحافة مسئولية الاضراب لانها لم تنصح العمال وطلب من الصحف كتابة مقالات (تدعوا العمال الى الرجوع الى صوابهم). وقال انه لن يتسامح مع الصحف التي لا تخدم الثورة. ولوحت الحكومة بتاميم الصحافة، ورغم انها تراجعت اخيرا الا انها في غمرة تراجعها اصدرت تعديلا لقانون الصحافة يرفع العقوبة على رفض الادلاء بمصدر الخبر الى السجن لمدة شهر او الغرامة ٥٠ جنيها او العقوبتين معا. وكان القانون قبل تعديله لا يشمل عقوبة السجن ويكتفي بغرامة قدرها ٥ جنيهات في الادانة الاولى و ٢٥ جنيها في كل ادانة لاحقة.

وجوم وتحفز

بعد الصحافة اتجهت الحكومة الى العمال .

ففي يوم ٣ ديسمبر ١٩٥٨ - اي بعد ١٩ يوما من الانقلاب - اصدرت الحكومة امرا بالغاء النقابات، وحل اتحاد العمال، والغاء قانون العمل لعام ١٩٤٨.

ومرت بالناس فترة صمت استغرقت شهر ديسمبر ويناير وفبراير، كان صمت ذهول لدى البعض احدثه التغيير المفاجئ في السلطة فاصابهم شلل في التفكير وشلل في العمل، ولم يدر ايؤيد ام يعارض. وهكذا اخلد الى السلبية والصمت.

وكان الصمت الذي يسبق العاصفة لدى بعض الناس اذ سرعان ما نفضوا رهبة ايام الانقلاب الاولى، وبداوا يعملون .

كان اولئك رجال الجيش .

ان الحزبين من بين كل الاحزاب اللذين لم يؤيدا الانقلاب العسكري في اي مرحلة من مراحله، ولم يلتزما جانب السلبية في نظرتهما للعساكر هما: الحزب الشيوعي السوداني والاخوان المسلمون.

فقد اجتمع المكتب السياسي للحزب الشيوعي في مساء ١٨ نوفمبر ١٩٥٨ وقرر – بعد دراسة الموضوع – ان انقلاب ١٧ نوفمبر انقلاب رجعي، وانه برجعيته سينعزل عن الشعب، وانه ضعيف، وان الواجب يقتضي مقاومته.

واجتمع المكتب التنفيذي للاخوان المسلمين وقرر ان طبيعة الحكم العسكري القهري تتنافى مع قواعد الشورى الاسلامية، وان تجارب البلاد الاسلامية و(الحركات الاسلامية الحديثة) توجب عليهم اخذ العبرة وعدم تاييد الوضع العسكري. وعليه فقد صدر منشور سري في الاسبوع الثاني للانقلاب يعلن رايه فيه بصراحة.

وهكذا .. لم ينقض عام واحد على الانقلاب العسكري حتى اتضح لمن ايده من الاحزاب – عدا حزب الشعب الديمقراطي – ولمن وقف منه موقفا سلبيا، اتضح لهم أنه نظام ضعيف لم يستلهم المصلحة الوطنية في قيامه ولا في استمراره .

وفي العام الاول المحدود بين نوفمبر ١٩٥٨ ونوفمبر ١٩٥٩ حدث اضراب عمالي واضراب طلابي، وثلاث حملات اعتقالات، وانعقدت ثلاث محاكم عسكرية للعمال والضباط، واعتقل العشرات من المواطنين، هذا بخلاف الاحداث الصغيرة الاخرى التي كانت تعبر عن تصميم الشعب على المقاومة.

الجيش

كان اول مارس عام ١٩٥٩ هو بداية المقاومة العملية للحكم العسكري داخل الجيش. في ٤ مارس قاد الاميرالاي عبد الرحيم محمد خير شنان والاميرلاي محي الدين احمد عبد الله حركة انقلاب داخل الجيش كان من نتيجتها حدوث تغيير شامل داخل المجلس الاعلى للقوات المسلحة، فابعد منه اللواء احمد عبد الوهاب ثم ابعد من الجيش في ١٠ مارس ١٩٥٩. وخرج من المجلس كذلك الاميرالاي عوض

عبد الرحمن صغير، والاميرالاي محمد نصر عثمان، والاميرالاي محمد احمد الخواض، والاميرالاي محمد احمد التجاني، والقائمقام حسين علي كرار. ودخل المجلس الاميرالاي شنان والاميرلاي محي الدين احمد عبد الله والاميرالاي المقبول الامين الحاج .

وبدأ الصراع على السلطة داخل الجيش يتجه الى ابعاد سحيقة.

فبدات بعض التحركات لاحداث انقلاب داخلي في ٢ مارس قبل حركة شنان بيومين.

وبعد شهر انطلقت اشاعة اخرى بان هناك حركة بين الضباط لاعتقال اعضاء المجلس الاعلى للقوات المسلحة في اول ابريل ١٩٥٩.

ثم شهد الجيش محاولة رابعة للانقلاب على حكومة عبود وابعد بسببها البكباشي محمود حسيب.

ثم اهتزت البلاد من اقصاها الى اقصاها باكبر محاولة انقلابية اشترك فيها اربعة من اعضاء المجلس الاعلى للقوات المسلحة وهم : اللواء احمد عبد الله حامد، الاميرالاي عبد الرحيم محمد خير شنان، الاميرالاي محي الدين احمد عبد الله، والاميرالاي المقبول الامين الحاج.

وانعقدت لهم محكمة عسكرية كبرى تابعها الراي العام السوداني متابعة دقيقة استحوذت على كل اهتماماته، ولم ينج ممن تعرضوا للمحاكمة غير المقبول الامين الحاج .

وفي صباح ٢٢ ديسمبر ١٩٥٩ صدرت الاحكام التالية :

الاميرالاي محي الدين احمد عبد الله - السجن المؤبد.

البكباشي حسن ادريس - السجن المؤبد.

البكباشي عبد الحفيظ شنان - السجن المؤبد.

البكباشي محمد على السيد - السجن المؤبد.

الصاغ احمد محمد ابو الدهب - السجن المؤبد.

يوزباشي محجوب بابكرصالح سوار الدهب - ١٥ سنة.

يوزباشي اسامة المرضي - سنتان.
ملازم اول محمد عثمان كيلة - سنتان.
صاغ عبد الحفيظ صالح حسيب - سنة واحدة.
وحكم على اللواء احمد عبد الله حامد والقائمقام علي صالح سوار الذهب وعلى عدد كبير من مختلف الرتب بلغت ١١٧ ضابطا بالطرد من الجيش.

اياك اعني واسمعي يا جارة

قبل ن يخفت صدى المحاكمات الذي دوى كقرع الطبول في جميع انحاء السودان، وبعد انقضاء خمسين يوما على اعلان الاحكام كشفت السلطات الحاكمة خبر انقلاب اخر على حكومة عبود. وقد قبض على الانقلابيين وهم ينظمون عملية الانقلاب في ليلة الحادث.

وسارعت الحكومة بتشكيل محكمة عسكرية برئاسة الاميرالاي محمد احمد التجاني لمحاكمة البكباشي علي حامد ورفاقه.

والذي بدا واضحا ان الحكومة قد ضاقت ذرعا بهذه الانقلابات العسكرية، وشعرت بان عقوبات السجن - مهما تطاولت - والتجريد من الرتب والطرد من الجيش، لم تعد تشكل رادعا فعالا، فلجأت الى احكام الاعدام ، ولسان حالها يقول (اياك اعني واسمعي يا جارة).

وبالفعل- وفي اقل من عشرين يوما من يوم المحاولة الانقلابية - جرى التحقيق الجنائي، وشكلت المحكمة العسكرية، واجرت محاكماتها، ونطقت بحكمها، وتم التصديق عليه، واجري تنفيذ الاعدام في الساعات الاولى من صباح اول ديسمبر ١٩٥٩ في الضباط الخمسة :

- البكباشي علي حامد - قائد المحاولة.
- البكباشي يعقوب كبيدة.
- الصاغ عبد البديع علي كرار.
- يوزباشي طيار صادق محمد الحسن.

- يوزباشي عبد الحميد عبد الماجد.

وقد نفذ حكم الاعدام قبل اعلانه وفي الساعات الاولى من الصباح وسط تكتم شديد خوفاً من غضبة الشعب.

استقبل الشعب - في عامته - حكم الاعدام بوجوم وحزن و سخط. وعبر عن هذا السخط بالمظاهرة الكبرى التي تجمعت في موكب دفن الشهيد غلى حامد وبترديد الهتافات الداوية بسقوط القتلة والسفاكين والمجرمين.

كذلك صدرت الاحكام التالية :

* السجن المؤبد للصاغ عبد الرحمن كبيدة والملازم ثاني محمد محجوب عثمان.

* والسجن ١٤ عاما لليوزباشي عبد الله الطاهر بكر والملازم محمد جبارة.

* والسجن خمس سنوات للاستاذ الرشيد الطاهر بكر المحامي.

* وتبع ذلك طرد ١٤ ضابطا من مختلف الرتب من القوات المسلحة.

الطلاب راس الرمح

وشعرت الحكومة أنها - بعد تنفيذ حكام الاعدام في الضباط الخمسة - قد قذفت الرعب في قلوب رجال الجيش. ولكن كان عليها في نفس الوقت ان تواجه جبهه جديدة انفتحت في قيادة المقاومة الشعبية المعارضة للحكم العسكري.

هذه الجبهه هي جبهة الطلاب.

كان اتحاد طلاب جامعة الخرطوم يمثل راس الرمح في حركة النضال الطلابية في السودان. وقد بدا الاتحاد مواجهته للحكم العسكري بمذكرة ضافية رفعها للمجلس الاعلى للقوات المسلحة في ١٠ سبتمبر ١٩٥٩ بلور فيها مطالب الحركة الطلابية ومطالب جماهير الشعب في

الحياة الديموقراطية الكريمة. وقد شملت المذكرة المطالب الاتية : فقد طالبوا بالتعجيل باقامة حكومة مدنية تمثل كافة الاتجاهات السياسية الوطنية، وان يكون من اول واجبات تلك الحكومة تكوين لجنة وطنية تضطلع بوضع مسودة دستور دائم للسودان، وان تتحاشى فيه الثغرات التي ادت الى زعزعة النظام النيابي في الدستور الملغي، وان تضع قانونا للانتخابات ينتخب على اساسه برلمان جديد تعرض عليه مسودة الدستور، وان تكون تلك اللجنة القومية لجنة استشارية للحكومة في المسائل الوطنية الكبرى حتى تتسع قاعدة الديموقراطية. وكنتيجة طبيعية للمطلبين السابقين ولكي يتهيا الجو المناسب للانتخابات (فاننا نرى ان تطلق جميع الحريات الديموقراطية بما في ذلك حرية الصحافة وعودة الاحزاب والنقابات والاتحادات، وان تلغي جميع القوانين المقيدة للحريات الديموقراطية الموضوعة قبل الاستقلال وبعده).

احتجزت وزارة الداخلية لجنة الاتحاد التي كانت برئاسة الاستاذ جعفر شيخ ادريس –المحاضر حاليا بالجامعة – لمدة اربع ساعات.

ودخل الاتحاد في اضراب ١٣ نوفمبر ١٩٥٩ ، وافضى هذا الاضراب الى سلسلة من الاضرابات الطلابية على راسها اضراب طلاب المعهد الفني ومظاهراتهم واقتحام البوليس لدارهم، ونشوب معركة حامية بينهم وبين البوليس. وقاد طلاب مدارس بورتسودان الثانوية والخرطوم الثانوية – بنين وبنات – وحنتوب الثانوية وعطبرة الثانوية اضرابات تضامنية مع طلاب جامعة الخرطوم والمعهد الفني. وبتعاقب السنين صارت هذه الاضرابات السنوية مع مطلع الاحتفالات باعياد الثورة رمزا للتضامن الطلابي بين الجامعات والمعاهد العليا والمدارس الثانوية، واحتفالا مضادا لاحتفالات الحكومة كلما مرت ذكرى ١٧ نوفمبر السنوية، وكانت تجديدا للعهد على النضال وشحذا للعزائم على الثبات. حتى اضطرت الحكومة لان توعز لمدير الجامعة

بان يغير من جدول الدراسة العام في جامعة الخرطوم بحيث يصير شهر نوفمبر كله عطلة، وتمتد بالتالي الفترة الدراسية الثانية الى ١٥ يناير حتى لا يحضر الطلاب عيد الاستقلال في الجامعة فيتغير موسم المظاهرات من ١٧ نوفمبر الى اول يناير.

الجبهة الرابعة - العمال

وانفتحت الجبهة الرابعة في جبهات المقاومة الوطنية للحكم العسكري بصورة رسمية في اول نوفمبر عام ١٩٥٩ عندما رفع عمال السكة الحديد - والوابورات الخرطوم بحري - وعمال كوستي مذكرة للمجلس الاعلى للقوات المسلحة، حوت المذكرة مطلبين اساسيين :

* اعادة النقابات على اساس قانون العمل والعمال لعام ١٩٤٨ وتحديد موعد نهائي لذلك.
* اطلاق سراح جميع المعتقلين النقابيين، والنظر في العفو عن المسجونين من قادة اتحاد العمال.

رفضت الحكومة استلام العريضة واعتقلت النقابيين التسعة الذين وقعوها. وكان رد الفعل المباشر ان اعلن عمال السكة الحديد بالخرطوم الاضراب الى اجل غير مسمى حتى تجاب مطالبهم ويفرج عن المعتقلين منهم.

ولكن الاضراب انتهى دون ان يحقق اهدافه، ذلك لان عمال الاقسام الاخرى في السكة حديد لم يشتركوا فيه، وقد شردت الحكومة ٢٢٨ عاملا.

هذا الاضراب هو اول اضراب منظم يقوده العمال او جزء من العمال، وهو بداية لمعركة قاسية خاضها العمال - خاصة عمال السكة الحديد - ضد الحكم العسكري.

الجبهة الوطنية

لم ينقض عام ١٩٥٩ حتى كانت اقوى جبهات المعارضة قد ولجت ساحة النضال. لقد كان جو المعارضة العام يتسع كل يوم، وفي كل يوم يفقد النظام العسكري ارضا كان يقف عليها.

لقد بدات جماعة الانصار التي ايدت الانقلاب العسكري تاييدا تاما عند قيامه تتخلى تدريجيا عن تاييدها له. كما بدا الحزب الوطني الاتحادي، الذي اتخذ موقفا سلبيا ازاء النظام العسكري طوال عام ١٩٥٩، بدا يتخذ موقفا اكثر ايجابية. لقد رفع قادة حزب الامة والحزب الوطني الاتحادي مذكرتين منفصلتين قبل نهاية عام ١٩٥٩ (لم تنشرا حتى الان الا انه كان من المعروف انهما اشتملتا على اراء لا تتفق مع نظام الحكم القائم، وتطالبان بمزيد من الديموقراطية).

وهكذا لم ينقض عام على الثورة حتى اتضح بجلاء ان الحكومة العسكرية قد انتصرت على الصحافة وفرضت عليها عزلة ابعدتها شيئا فشيئا عن الشعب، واحكمت قبضتها على الجيش وفرضت ارهابها عليه. ولكنها وقفت بتحديها السافر للقوى الوطنية للمقاومة الشعبية : الاحزاب، الاتحادات الطلابية، النقابات والتجمعات العمالية، وقفت ترسم طريق الوحدة لهذه الحركات لتجمع صفوفها لمواجهة المعارك القادمة.

عامين في ذروة المقاومة الشعبية

في نوفمبر عام ١٩٥٩ وقعت حكومة السودان اتفاقية مياه النيل مع الجمهورية العربية المتحدة.

والواقع ان الشعب لم يرض عن تلك الاتفاقية وانتقدها في السر والعلن ، وذلك لاسباب :

* لانها كانت اكثر تساهلا في شروطها من كل ما اقترحته الحكومات السابقة.

* ثم ما صاحبها من شائعات عن تبذل الوفد السوداني في مصر، وقصص مباريات التنس التي كان بطلها رئيس وفد المفاوضات السوداني.

* ثم ما قيل عنها - فيما بعد - مما اذاعه راديو دمشق بعد الانفصال من ان هناك خمسة ملايين جنيه قد رصدت في بنك سوريا: ثلاثة ملايين منها باسماء بعض الوزراء، ومليونان باسم شخصية دينية كبرى.

* كذلك فان الخمسة عشر مليونا من الجنيهات - قيمة التعويض المصري للسودان - لم تكن تكفي التعويضات العينية لاهالي حلفا، وان عطاء مباني حلفا الجديدة والقرى التابعة لها - وحده -كان يزيد عن الاثنى عشر مليونا من الجنيهات.

هذه واحدة.

والاخرى ان احدى الحكومات السابقة حينما ذهب وفدها للمفاوضات كان تقديره للتعويضات المالية يبلغ اربعة وثلاثين مليونا من الجنيهات، ويقال ان الحكومة المصرية ابدت موافقة مبدئية على ذلك التعويض.

هذه الاسباب مجتمعة جعلت السخط يبلغ مداه على الحكومتين السودانية والمصرية على السواء:

* على الحكومة السودانية لانها ارسلت وفدا للمفاوضات لا يتمتع بصفة الكفاءة، وعلى راس الوفد رجل جاهل تمام الجهل بالنسبة لما انتدب له. على عكس الوفد المصري الذي كان على راسه عدد من اصحاب الدرجات العلمية العالية من المتخصصين والعلماء.

* وعلى الحكومة المصرية لانها لم تضع في اعتبارها انها تتعامل مع شعب السودان بل مع مجموعة من العسكريين في القيادة. لذلك استعملت كل الوسائل التي من شانها ان تجعل هؤلاء العسكريين

يتنازلون، وكل ما من شانه ان يخفض عليهم التكاليف بغض النظر عن مصلحة السودأن. والواقع ان السودان كان كالطفل اليتيم ليس له وال مسئول يقيم مصالحه التقييم العلمي الدقيق. لذلك فقد عمت الناس خيبة امل من موقف مصر غير المنتظر من قضية مياه النيل.

وانفجرت مظاهرات الطلاب في الاحتفال السنوي بثورة ١٧ نوفمبر، ليست ضد حكومة السودان ولكن ضد حكومة مصر ايضا.

وكانت مدينة بور تسودان احدى المدن التي سيزورها الرئيس جمال عبد الناصر. وقد نظم طلاب المدارس مظاهرات من مكان الاحتفال عرجت على القنصلية المصرية فحطمت قوس النصر المنصوب امامها، وحطموا الانوار في مداخلها، مما ادى بالبوليس لان يحاصر المدرسة لمدة ثلاثة ايام حتى انقضت زيارة الرئيسين عبود وعبد الناصر للمدينة.

وعندما زار عبد الناصر الفريق عبود في منزله المواجه لدا خليتي الرهد وبحر العرب - من داخليات جامعة الخرطوم - تجمع عدد من الطلاب فوق سطح داخلية بحر العرب ورددوا هتافات معادية للحكم العسكري ومطالبين بالحياة الديموقراطية. فخرج اللواء طلعت فريد ومعه اللواء محمد نصر عثمان واستدعى قوات كبيرة من البوليس واحتلوا هاتين الداخليتين، وصعدوا الى الاسطح حيث تجمع الطلاب، وفجروا القنابل فوق الاسطح وداخل الغرف، واشتبك معهم الطلاب في معركة عنيفة بالكراسي.

وفي اثناء ذلك خرجت طالبات الجامعة من داخليتهن التي تقع بجوار منزل الفريق عبود، وهتفن ضد الحكم العسكري. فامر االلواء طلعت فريد بان يضربوهن ، فاوسعوهن ضربا واقتحموا داخليتهن، وهجموا عليهن في غرفهن بالسياط والعصي، وضربوا المشرفة على الطالبات ضربا مبرحا.

ان موقف الطلاب الاخير ابان زيارة الرئيس جمال عبد الناصر وشراستهم في المقاومة لم يكن ناتجا عن عدائهم التقليدي والطبيعي للنظام العسكري فحسب.. وانما ازداد نتيجة لاعمال استفزازية حدثت قبل عشرين يوما من ذلك التاريخ.

ففي خلال شهر اكتوبر عام ١٩٦٠ سعت ادارة الجامعة - بضغط من قبل العساكر - لفرض القانون رقم ٩ (statute 9) ليسير الاتحاد بمقتضاه. هذا القانون يشكل امتدادا للقوانين (التكبيلية) التي طوقت بها الحكومة الشعب وحطمت بها مؤسساته الديموقراطية.

والقانون بصورته تلك يحرم على الطلاب المشاركة في المسائل القومية، ويمنع العمل السياسي، ويقتضي تعيين استاذ في لجنة الاتحاد، ويجعل كلمة المدير هي العليا في المسائل الادارية والمالية التابعة للاتحاد.

وقف الطلاب يساندون دستورهم الذي اجازوه بانفسهم، ورفضوا هذا القانون. فلم يكن امام ادارة الجامعة ازاء حزم الطلاب واستبسالهم غير ان تحل الاتحاد في ٢٥ اكتوبر ١٩٦٠.

وهكذا دخل الاتحاد في فترة من (اللا شرعية) حتى عام ١٩٦٤، ولكن نضاله لم يلن، ولم يساوم في اهدافه ومبادئه.

والذي بدا واضحا ان القانون رقم (٩) كان بداية لعملية تاميم او ضم للجامعة لوزارة المعارف واخضاعها للواء طلعت فريد الذي كان قد اظهر نجاحا من قبل في وزارة الاستعلامات والعمل.

لم تمض غير (مائة) يوم حتى اتمت الحكومة تعديل قانون الجامعة واعلنت هذا التعديل (٢). ومما يذكر هنا ان قانون الجامعة كان قد اجيز بواسطة البرلمان السوداني في عام ١٩٥٦ مع اشراقة استقلال البلاد.

احدث هذا التعديل تغييرا جذريا في ادارة الجامعة. وهذه بعض التفصيلات ليلم القارئ باثر هذا التعديل :

* اصبح راس الدولة هو راعي الجامعة بعد ان كان مجلس الجامعة هو الذي يعين الراعي.

* صار مدير الجامعة يعينه الراعي بعد ان كان يعين (ينتخب) بواسطة مجلس الجامعة.

*صار مجلس الوزراء يعين ممثلي المصالح والوزارات بعد ان كان يعينهم مجلس الجامعة.

* اصبح ممثلا الخريجين يعينان من بين ٨ مندوبين ينتخبهم الخريجون بعد ان كانا ينتخبان انتخابا مباشرا .

رفض الطلاب هذا التعديل، ورفعوا مذكرة للمجلس الاعلى للقوات المسلحة يوم الاربعاء ٨ فبراير ١٩٦١ يعلنون فيها رفضهم القانون، واعلنوا اضرابا لمدة يومين (الاربعاء والخميس ٨ و ٩ فبراير). ورفع الاساتذة السودانيون بالجامعة مذكرة احتجاج في هذا الصدد يعلنون فيها استنكارهم لهذا التعديل. ولم تكن هذه المذكرة المعادية للحكومة هي الاولى من اساتذة الجامعة، فقد سبق لهؤلاء الاساتذة ان ارسلوا مذكرة ادانة واحتجاج على تدخل البوليس في حرم الجامعة وتطويقها واصطدامه مع الطلاب في عام ١٩٦٠.

في ٨ نوفمبر ١٩٦١ رفع اتحادا طلاب جامعة الخرطوم والمعهد الفني مذكرة سياسية شاملة لحكومة العساكر يطالبون فيها بـ :

* رجوع الجيش الى ثكناته ليباشر مهمته الاساسية وهي الدفاع عن الوطن.

* قيام حكومة انتقالية لوضع الدستور واجراء الانتخابات، وتصفية المعتقلات، ورد الحريات للشعب، والغاء قانون الطوارئ.

ثم قاد الاتحادان مظاهرة طلابية مشتركة في ١٣ نوفمبر، ودخلت مدرسة وادي سيدنا في اضراب منعزل وفصل بسببه ١٠٦ طالباً.

قضية اهالي حلفا

الحديث عن مياه النيل يقود اجلا او عاجلا للحديث عن ترحيل اهالي حلفا الذي وجدت فيه المعارضة غذاء دسما ظلت تقتات عليه عدة شهور.

فقد تصاعدت قضية اهالي حلفا وزادت حدة، ولعل ثورة اكتوبر لو قدر لها ان تندلع في اي مناسبة اخرى لما وجدت ظروفا اكثر مناسبة من ظروف الاضرابات التي عمت البلاد بسبب قضية حلفا.

كانت مطالب النوبيين العادلة هي :

* التعويضات المناسبة.
* اختيار الموطن الجديد والاتفاق عليه مع الحكومة.

اصبح هذان المطلبان مصدر صراع عنيف بين اهالي حلفا ولجنتهم القومية من جهة والحكومة من جهة اخرى.

ولما وصلت المسالة الى حد التازم بخصوص الموطن الجديد، سافر الفريق ابراهيم عبود الى حلفا، وهناك اطلق تصريحات اكيدة قاطعة بان مواطني حلفا هم الذين سيختارون موطنهم الجديد.

فتكونت لجنة قومية بطريقة ديموقراطية واختارت لها مستشارين وفنيين لدراسة جميع الجوانب المتعلقة بصلاحية المناطق المختلفة لاسكان اهالي حلفا، وزارت اللجنة كل الاماكن المقترحة. وقامت بدراسة وافية شاملة، ثم عرضت دراساتها امام جميع مواطني حلفا.

وكانت نتيجة ذلك ان اختارت الاغلبية الساحقة منهم منطقة جنوب الخرطوم.

ولكن الحكومة نسيت كل وعودها، وارسلت وفدا برئاسة اللواء طلعت فريد الى حلفا يوم ٢٢ اكتوبر ١٩٦٠، وتكتمت على القرار الذي

اتخذته بشان الوطن الجديد للنوبيين، فلم يعلن عنه حتى سافر الوفد الوزاري الى حلفا.

وقوبل الوفد بمظاهرة ضخمة مؤيدة اللجنة القومية في كل خطواتها. وقامت معركة بين البوليس وجماهير الشعب النوبي اصيب فيها عدد من المواطنين واعتقل ما يقرب من مائتي شخص.

وفي مساء نفس اليوم تم اجتماع الوفد الوزاري واللجنة القومية اعلن فيه اللواء طلعت فريد ان الموطن الجديد سيكون خشم القربة.

واعلن عن التعويضات عن ممتلكات المواطنين التي كان تقدير اللجنة فيها يزيد عن تقدير الحكومة باكثر من ٣١ مليون جنيه، ولم تصدق لهم الحكومة الا بـ ١/١٤ من جملة التقديرات التي قدروها. (٣)

ومع اعلان القرار انسحب كل اعضاء اللجنة القومية وتجددت المظاهرات وعمت كل المنطقة.

وفي صباح اليوم التالي كانت كل جماهير القرى المجاورة تزحف على حلفا، وتحاصر المطار وفندق النيل حيث ينزل الوفد الحكومي. ودارت معركة جبارة قطع فيها الشعب اسلاك التلفون فانقطع الاتصال ببقية اجزاء القطر وبمصر.

وفي مساء اليوم نفسه غادر الوفد الوزاري حلفا تحت جنح الظلام الى الخرطوم. ومع اعلان القرار انفجرت المظاهرات في كل انحاء السودان. ففي يوم ٢٦ اكتوبر خرجت مظاهرة الخرطوم الشهيرة حيث التقى النوبيون وجماهير الشعب في العاصمة مع طلاب جامعة الخرطوم امام القصر الجمهوري في مظاهرة اشتبكت مع البوليس اعتقل فيها ٩٦ مواطنا من بينهم ١٦ من طلاب جامعة الخرطوم. وفي نفس اليوم خرج العمال بالتضامن مع النوبيين في عطبرة واعتقل البوليس منهم ١٥ مواطنا، ١٣ منهم من الطلاب. وخرجت بورتسودان

حيث اعتقل ١٠٠ مواطن، والحصاحيصا حيث بلغ معتقلوها ٢١ رجلا. وهكذا في جميع انحاء السودان حيث بلغ المعتقلون ٤٧٦ مواطنا.

الصديق يقود المقاومة

قلنا في موضع سابق انه قبيل نهاية عام ١٩٥٩ بدات طائفة الانصار وبعض قادة الحزب الوطني الاتحادي ينفضون عنهم ثياب العزلة والسلبية تجاه الحكم العسكري. وقد شهد عاما ٦٠-١٩٦١ قمة انتظام هذين الحزبين – مع بقية قوى المعارضة الشعبية – في صفوف المعارضة المناهضة للحكم العسكري.

كانت بداية اللقاء – بعد تولي السيد الصديق المهدي امامة الانصار – بين الانصار والحزب الوطني الاتحادي في صلاة عيد الفطر في اواخر مارس عام ١٩٦٠. كان اللقاء في حد ذاته تجمعا سياسيا ضخما بدا كارهاصات واضحة لتجمع قوى ضخمة في المستقبل.

ومنذ ابريل الى نوفمبر عام ١٩٦٠ كان العمل الدائب منصبا على اجراء تاسيس واعداد الجبهة القومية التي ستتولى تنظيم المعارضة الوطنية للحكم العسكري في نطاق شعبي شامل. وقد اشترك في هذه الجبهة بصورة رئيسية حزب الامة – الحزب الوطني الاتحادي – الاخوان المسلمون – الحزب الشيوعي، وبعض الشخصيات الوطنية، وتشد من ازر هذه الجبهة جماهير العمال والطلاب وخاصة اتحاد طلاب جامعة الخرطوم.

بدات اعمال الجبهة في ٢٩ نوفممبر ١٩٥٩ بعد انتهاء زيارة الرئيس جمال عبد الناصر الى السودان حيث رفعت جميع الاحزاب – عدا حزب الشعب الديمقراطي – وعدد من الشخصيات الوطنية مذكرة الى المجلس الاعلى للقوات المسلحة.

تحدثت المذكرة عن المهام الرئيسية للجيش، وعن ضرورة عودته الى ثكناته، وعن مصير البلاد التي تحكمها الجيوش، وعن تعاقب

الانقلابات في معظم البلاد الخاضعة للاحكام العسكرية، ثم تقدمت المذكرة بالمطالب الوطنية التالية :

* ان يتفرغ الجيش لمهمته الوطنية الاساسية وهي حماية البلاد من العدوان الخارجي.

* ان تتولى الحكم هيئة انتقالية لتحقيق الاتي :

- تمارس سلطات الحكومة في فترة الانتقال.

- تضع التخطيط السليم والاسس الديموقراطية الواضحة في السودن على ضوء تجارب الماضي.

- تضع قانون انتخابات عادل يجري الانتخابات لايجاد ممثلي الشعب الذين سيتولون الحكم في صورته النهائية ولوضع الدستور الدائم.

* ان ترفع حالة الطوارئ فورا، وان تكفل حريات المواطنين، وتضمن حرية الصحافة ليستطيع الشعب ان يعبر عن ارائه في حرية، ولتستطيع الحكومة القومية تحسس رغباته.

ولم تستجب الحكومة - بالطبع - لهذه المطالب بل لم تفكر حتى في الرد على المذكرة.

وقررت الجبهة القومية القيام بحملة عامة لنشر الوعي وتاليب الراي العام ضد الحكومة. وانتدبت فيمن انتدبت السيدين الصادق المهدي واحمد المهدي في اوائل عام ١٩٦٠ للسفر الى غرب السودان والاتصال بالمواطنين عامة والانصار خاصة. وبعد ان اتما جولتهما في الغرب وعادا الى الخرطوم حددت الحكومة اقامتهما في المدن الثلاث، وحاولت القاء القبض عليهما ولكنها عدلت عن ذلك في النهاية.

والواقع ان الحكومة لم تكتف بالصمت والاهمال بالنسبة لمذكرة الجبهة القومية، بل شنت على من وقع عليها حملة صحفية واذاعية قاسية مستعملة كل الاساليب والاتهامات. ولم تنس بالطبع ان تتحدث

عن (الايادي الاستعمارية الخفية التي تحرك هذا النفر الخارج من المواطنين)، واعتقلت عددا ممن وقعوا عليها وقدمتهم للمحاكمة العسكرية، وعطلت صحيفة الايام في ٣ نوفمبر ١٩٥٩ لانها تعدت ونشرت هذه المذكرة، ولان رئيس تحريرها الاستاذ بشير محمد سعيد كان احد المواطنين البارزين الذين وقعوا على المذكرة، ثم اوقفت المرتب الشهري البالغ ١٠٠ جنيه الذي اجرى على السيدين اسماعيل الازهري وعبد الله خليل بصفتهما رئيسا وزراء سابقين، واخذت الاذاعة تردد صباح مساء (مذكرة كرام المواطنين) التي رفعتها لتاييد الحكومة مجموعة من (كرام المواطنين) على راسهم الشيخ على عبد الرحمن وبعض قادة حزب الشعب الديموقراطي.

ثم رفعت الاحزاب مذكرة اخرى بعد حوالي الشهرين من المذكرة الاولى.

كانت المذكرة في جملتها احتجاجا صارخا كتب بلهجة عنيفة. انتقدت اولا كل الاجراءات التعسفية من جانب الحكومة، مبتدئة باهمال الرد على المذكرة الاولى، الى الحملة الصحفية والاذاعية ضد الجبهة القومية، الى المحاربة في ارزاق البعض، ثم مستنكرة حملة الاعتقالات والمحاكمات للمواطنين البسطاء الذين كان ذنبهم انهم وقعوا على مذكرة يبدون فيها رايهم السياسي في الاوضاع الحاكمة.

ثم قالت المذكرة معقبة على هذا (ولا يسعنا و الحالة هذه الا ان نعدكم مسئولين عن نتائج هذا المسلك الضار، ونحملكم مغبته ونتائجه، ويكفي دليلا على ما وصل اليه الحال من سوء ان يقف (موظف صغير) امام المجلس العسكري الذي عقد بالخرطوم بحري ليتطاول على اقدار رجال لهم وزنهم في هذا البلد كما لهم تاريخهم الناصع، فيطعنهم في اخلاقهم وينتقص من كرامتهم، ويرميهم بالخيانة، ويدمغهم بالارتماء في احضان النفوذ الاجنبي، ثم تجيء صحيفة الحكومة لتنشر

هذا من فئران لا يردعهـا رادع ..). وتختم المذكـرة اسـطرها محـذرة الحكومة (ان من واجبنا ان ننبهكم الى ان الحكم ايا كان نظامه لا يصلح ما لم يستقم ميزانه ، وما لم يساو بين المواطنين، وان الاهواء والاحقـاد لا تعود بغير الهاوية والانحدار. ولذا فاننا نكـرر احتجاجنـا البـالغ علـى هذه التصرفات، ونحملكم نتائجها وعواقبها منتظرين لفترة مناسبة لـنرى ما انتم فاعلون حتى نحدد موقفنا من هذا التجاهل والاغضاء).

كان للانذار الذي وجهه السيد الصديق المهدي باسم الجبهـة القوميـة اثره اذ سرعان مـا دخلـت الحكومـة فـي مفاوضـات منفـردة مـع الامـام الصديق المهدي حول مستقبل الحكم وذلك في فبراير عـام ١٩٦١. وقـد مثل الحكومة في تلك الاجتماعات اللواء محمد طلعت فريد والاميرالاي المقبول الامين الحاج.

لم تذكر الوثائق تاريخ الاجتماع الاول. اما الاجتمـاع الثـاني فقد تـم فـي مسـاء الثلاثـاء ٢٨ فبراير ١٩٦١ حيـث تنـاول الوزيـران طعـام الافطار مع الامام الصديق والسيد يحيى المهدي.

وتم الاجتماع الثالث بين الوزيرين من جانب والامام الصديق والسيد يحيى المهدي من جانب اخر فـي السـاعة التاسـعة مـن مسـاء يـوم ١٢ مارس بمنزل الضيافة الحكومي.

في هذا الاجتماع سلم السيد الصديق المهدي مذكرة لرجال الحكومـة احتـوت رده علـى بعـض النقـاط، وكـانت هـذه المذكـرة ايذانـا بختـام المفاوضـات وفشـلها. ومـع فشـل المفاوضـات بـدات الحكومـة حملـة استفزاز ضد الانصـار ، فحـددت فـي اواخـر شـهر مـايو ١٩٦١ اقامـة السيدين الصادق المهدي واحمد المهدي بعد رحلة قامـا بهـا الـى غـرب السودان، ومنع الانصار من رفع الاعلام وترديد الاناشيد الدينيـة. وقـد تناول كل ذلك السيد الصديق المهدي في مذكرته للفريـق ابراهيـم عبـود وهو في اركويت في ٢٨ مايو ١٩٦١ .

ثم تلاحقت الاحداث بعد ذلك، فبعد عشرين يوما بالتقريب (٤) حدث الاضراب الشهير لعمال السكة الحديد، فوسع ذلك من قاعدة المعارضة العامة، وبعد تحركات واتصالات واسعة ارسل زعماء الاحزاب برقيتهم الشهيرة للمجلس الاعلى للقوات المسلحة تؤيد العمال وتدين استفزازات الحكومة وتطالب بتنحي الحكومة واعادة الحياة الديموقراطية. واتضح للحكومة ان تلك البرقية قد فعلت فعل السحر في اوساط الشعب، وان الجماهير قد وصلت درجة عالية من السخط والتحفز. فلم تجد بدا من ان تعتقل زعماء المعارضة الذين وقعوا على البرقية، وان تنفيهم الى جوبا في نفس يوم اعتقالهم. (٥) احدثت هذه الخطوة صدى محليا وعالميا واسعا. واقتنعت جميع الاوساط بافلاس النظام الحاكم وعجزه عن مواجهة خصومه السياسيين بالحجة، وازدادت جبهة احزاب المعارضة تماسكا

وفكر العساكر في خلق جو عام من الارهاب واستعراض العضلات. فتحرش رجالها بحشود الانصار وهي تؤم احتفلاتها الدينية في ساحة المولد النبوي الشريف بام درمان. فكانت مجزرة المولد في مساء ٢١ اغسطس ١٩٦١ التي راح ضحيتها اثنا عشر من المواطنين الانصار.

عم السخط والاستنكار الشديد كافة اوساط الشعب. وكان موكب تشييع الشهداء في اليوم التالي مظاهرة عارمة ضد النظام العسكري اشتركت فيها كافة طبقات الشعب وفئاته.

بعد حادث المولد بثلاثة ايام، في ٢٤ اغسطس، ارسلت جبهة المعارضة رسالة الى ضباط البوليس بالعاصمة، وقد احدثت هلعا شديدا في صفوف الاوساط الحاكمة.

وعاش الناس اربعين يوما من القلق والترقب ، حتى روعت البلاد عامة بوفاة السيد الصديق المهدي. فاصيبت اوساط المعارضة بهزة عنيفة ظلت تلازمها حتى قيام ثورة اكتوبر.

وبقي مصير زعماء المعارضة معلقا في الجنوب. وفي صباح السبت ٢٧ يناير ١٩٦٢ - ختام المائتي يوم من الاعتقال - دخل الزعماء في اضراب عن الطعام الى اجل غير مسمى حتى يتم الافراج عنهم. وفي نفس اليوم انتشر الخبر في معظم مدن السودان الكبرى بواسطة المنشورات التي وزعها الحزب الشيوعي، واذيع الخبر من محطات الاذاعة العالمية الرئيسية، وفوجئت الحكومة، واخذت على غفلة منها. وهالها ان يصل خبر الاضراب في نفس اليوم الى هذا المدى من الذيوع والانتشار.

كان لذلك اثره الحاسم في تراجع الحكومة حتى لا تضطر لمواجهة غضب الجماهير في الداخل وسخط الراي العام في الخارج.

وفي اليوم التالي للاضراب كان زعماء المعارضة في منازلهم .

١٩٦٣ .. فتور حركة المعارضة

اصبح من النادر جدا ان تتمتع اي مدرسة ثانوية بقيام اتحاد دائم، شرعيا كان ام غير شرعي، انما هي مؤتمرات تنبعث عند مطلع كل عيد من اعياد ١٧ نوفمبر .. ثم تتلاشى.

وفي المعاهد العليا والجامعات كان الاتحاد الشرعي الوحيد - خلال عام ١٩٦٢ - هو اتحاد طلاب المعهد الفني. كان الطلاب في جامعة القاهرة (الفرع) مواجهين بتكوين غير ديموقراطي لاتحادهم، ذلك التكوين الذي يجعل من الاتحاد جزءا من ادارة الجامعة تحت اشراف المدير او من ينوب عنه، وبالتالي يفقد استقلاله ومقدرته الضاربة.

اما في جامعة الخرطوم فبعد ان حل الاتحاد بصورة رسمية لجات ادارة الجامعة الى مخطط لعزل الطلاب عن الحركة السياسية : فقد بدا الضغط الاكاديمي يزداد بصورة واضحة مع سبق التهديد بتشريد العشرات من الطلاب في نهاية كل عام. ثم كونت الجمعيات العديده ذات الطابع الاجتماعي غرضها تربية اهتمامات بعيدة عن السياسة وسط الطلاب، كما لمحت ادارة الجامعة بوضع قوانين ولوائح (تعسفية) رادعة تعوق تطور العمل السياسي وتهين كرامة الطالب الجامعي.

باشراك كل هذه العوامل في التثبيط لم ينشط العمل المعادي للحكومة بصورة ملحوظة لا في جامعة الخرطوم ولا في المعاهد العليا الاخرى، ولا في المدارس الثانوية، عدا مظاهرة واحدة اشتركت فيها جامعة الخرطوم مع المعهد الفني وجامعة القاهرة (الفرع) وبعض ثانويات الخرطوم، وكانت في ١٤ نوفمبر ١٩٦٢.

اتخذ مدير جامعة الخرطوم قرارا بفصل الطلاب الذين اشتركوا في المظاهرة ، ولكن القرار لم ينفذ، فاصدر المجلس الاعلى للقوات المسلحة قرارا بتاكيد قرار المدير، وبان ينفذ المدير قراره، فارسل الاساتذة السودانيون مذكرة رفض واحتجاج على تنفيذ المدير لمثل هذا الاجراء.

* * *

في اوساط الجبهة القومية التي تقود المعارضة ضد الحكم العسكري، كان عام ١٩٦٢ هو عام الفتور او هو عام التحلل في الطريق الى الذوبان.

لنعد الى الجبهة القومية بعد وفاة السيد الصديق المهدي واطلاق سراح زعماء المعارضة.

كان لذلك النصر السريع الحاسم الذي توج باطلاق سراح زعماء المعارضة اثره الكبير في رفع الروح المعنوية للجماهير، وفي

استعدادها للمزيد من الانتصارات. لكن جبهة احزاب المعارضة لم ترتق لمستوى الشعب حتى تواصل قيادة النضال ضد الحكم العسكري.

كما قلت في الصفحات السابقة ان وفاة السيد الصديق المهدي احدثت هزة عنيفة وشللا دائما في اوساط المعارضة ظل يلازمها حتى قيام ثورة اكتوبر.

كان الامام الصديق يمثل الدعامة الاولى القوية التي كانت ترتكز عليها قوى المعارضة. كان القادة يحسون في ظله بنوع من الحماية والامن من بطش الحكم العسكري، فضلا عن انه كان يتقدم باسم المعارضة ، وكان المفاوض نيابة عنها دائما. ولقد اسلمته المعارضة قيادتها فلم يتردد في حمل الراية. لذلك لم يستغرب ان كان محط امال الجماهير عامة : التفت حوله كل القوى السياسية بيمينها ويسارها، وكان من الزعماء القلة الذين نالوا رضا طلاب جامعة الخرطوم في هذه الفترة الحديثة من تاريخ السودان، واستقطب تاييد العمال وكافة قطاعات الشعب الاخرى. وتولى امامة الانصار بعد السيد الصديق المهدي الامام الهادي المهدي.

ان الفارق الكبير بين شخصية الامام الصديق المهدي والامام الهادي المهدي اوقع جبهة المعارضة مع حزب الامة في مشاكل لم تحل حتى الان، بل انها تزيد اتساعا كلما اشرق عليها صباح جديد.

كان السيد الصديق - بطول الممارسة - يعرف السياسة ويدرك خفايا القضايا المتعلقة بها، عكس الامام الهادي الذي كان منقطعا عنها طوال حياة الامامين عبد الرحن المهدي والصديق المهدي.

ومن المهم ان نذكر هنا حادثة ربما كانت خافية على كثير من الناس. فقد بدات خلافات جبهة المعارضة مع الامام الهادي قبل ان يتولى الاخير امامة الانصار. كان راي الجبهة ان السيد الصادق كمثقف وكسياسي له تجارب واسعة في العمل السياسي. فقد اعطاه والده مطلق

التصرف في تحركاته السياسية، فكان هو العامل على تجميع شتات المعارضة بينما الامام الصديق هو المقدم للمقابلات وتوقيع المذكرات. وعلى هذا كانت توصية الجبهة للانصار ان تكون خلافة الصديق لابنه الصادق لانه اكثر الانصار التصاقا بالاحداث الاخيرة، ولانه الاوسع افقا والاكثر ثقافة والاقدرعلى قيادة سفينة المعارضة في تلك الايام الحرجة. وبينوا لهم ان جبهة الانصار وامامتهم - بحكم المعارك السياسية الدائرة - لم تعد ملكا خاصا للانصار فقط ، وانما هي لشعب السودان كله ولجبهته الوطنية.

ويبدو ان هذا الاتجاه كان سائدا في صفوف شيوخ الانصار، حتى اوشكت بيعة السيد الصادق اماما للانصار ان تتم لولا وصول السيد عبد الله الفاضل (٦) فجاة من مصر فاحبط هذا المسعى، واختير السيد الهادي اماما للانصار.

بدات اولى المشاكل في الجبهة الوطنية في اعياد الاستقلال عام ١٩٦٢ ، فقد اعدت الجبهة خطابا سياسيا حافلا كان القصد منه ان يفجر ازمة مع الحكم العسكري، وحشد له مائة الف مواطن. وكان من المقرر ان يلقيه الامام الهادي . ولكن الامام الهادي قرا خطابا اخر ضعيفا في محتواه، فلم يستقبله الناس الاستقبال المطلوب.

كان هذا الخطاب اول بوادر تصدع الجبهة الوطنية. وتبع ذلك تقهقر سريع في موقف الجبهة. فقد وافقت الجبهة (او خضعت) لقرار الحكومة العسكرية بالغاء الاحتفال الذي قررت اقامته بمناسبة الافراج عن زعماء المعارضة، بعد ان وزعت رقاع الدعوة.

لقد كان عام ١٩٦٢ - كما ذكرت من قبل - هو بداية فتور حركة المعارضة.

١٩٦٣.. تصدع جبهة المعارضة

طلاب الجامعة

في جامعة الخرطوم كان ضغط الادارة ومن ورائها الحكومة العسكرية قد بلغ حدا من العنف لم يعد يحتمله الطلاب. فمع مطلع العام منع مدير الجامعة الطلاب من الاحتفال بعيد الاستقلال داخل الحرم الجامعي. ولما احس بان الطلاب بدأوا يتحركون ارسل - يوم ٥ يناير ١٩٦٣ - خطابات للطلاب جاء فيها : (فقد قررت بان الجامعة لن تعمل من جانبها في المستقبل على التدخل اذا ماوضع الطالب نفسه تحت ظروف سياسية تعرضه الى اضرار . كما ان الجامعة سوف تفصل اي طالب (او طالبة) تثبت ادانته بالقيام بالعمل السياسي).

وفي ١٧ سبتمبر عند انعقاد مؤتمر مديري جامعات افريقيا انسحب طلاب جامعة الخرطوم من الاحتفال احتجاجا على عدم الاعتراف بالاتحاد، وعدم اشراكه في تنظيم الاحتفالات، وعلى تغول الحكومة على استقلال الجامعة. وفي اثناء انسحاب الطلاب خرج بعضهم على قرار اللجنة التنفيذية وارتفعت حناجرهم بالهتاف ضد الحكم العسكري، وفي صباح اليوم التالي تم فصل اللجنة التنفيذية للاتحاد لمدة عام. (٧)

كان من الواضح ان الحكومة قد بلغ نفاذ صبرها مداه من جهة طلاب جامعة الخرطوم، خاصة عندما اشترط الطلاب الا تطا اقدام احد العسكريين - بما فيهم راعي الجامعة وهو رئيس الدولة الفريق ابراهيم عبود - ارض الجامعة، وهتافاتهم ضد مندوب راعي الجامعة في احتفالات الجامعة بمديري الجامعات الافريقية، فضلا عن ان كل الخطوات التي اتخذت من جانب العسكريين ضد طلاب الجامعة بما في ذلك حل اتحاد الطلاب.. لم تجد.

لذلك انتهز المجلس الاعلى للقوات المسلحة فرصة غياب الطلاب في عطلة الفترة الاولى واصدر في ١٥ نوفمبر ١٩٦٣ قرارا بضم

الجامعة الى وزارة التربية والتعليم تحت ادارة اللواء محمد طلعت فريد، وكان الغرض واضحا وهو مهاجمة الطلاب في عقر دارهم بتاميم الحركة الطلابية.

وعاد الطلاب الى الدراسة في اول ديسمبر. ثم دخلوا في اضراب شامل عن الدراسة بتاكيد الا عودة للدراسة الا بعد ان تسحب الحكومة قرارها بضم الجامعة لوزارة التربية والتعليم. ولكن الاضراب فشل في انجاز مهامه بعد ان فشل الطلاب في الصمود لفترات اطول.

كان اتفاق المعسكرين الكبيرين في الجامعة : الاتجاه الاسلامي (الاخوان المسلمون) والجبهة الديموقراطية (الشيوعيون) هو الضمان الوحيد لاستمرار ونجاح اي عمل طلابي كبير. بالنسبة لاضراب ٥ ديسمبر كان من الواضح انه يحظى بتاييد الاتجاه الاسلامي ودعمه بينما تواجهه معارضة الجبهة الديمقررطية.

رجال القانون

في اوائل عام ١٩٦٠ ضجت البلاد بقضية (قتيل المقرن) بعد ان سبقتها سلسلة من الجرائم الغامضة التي خفيت حقائقها عن الجمهور او اخفيت. وفي قضية قتيل المقرن كانت اصابع الاتهام تشيرلبعض الكبار وفيهم احد الوزراء. فارسلت نقابة المحامين مذكرة طالبت فيها بايقاف جميع من تحوم حولهم الاتهامات، واجراء تحقيق سريع وتقديم المسئولين عنها للمحاكمة. وكنتيجة لموقف المحامين الوطنيين المعارض للفساد وتصديهم لقضايا الفساد الاخلاقي والجرائم الغامضة والانتصار لمجاهدي اريتريا فقد اعتقلت الحكومة اعدادا كبيرة منهم وزجت بهم في السجون. (٨)

اما القضاء فقد تحول الى اداة طيعة في يد العسكريين ، وكاد استقلاله ان يضيع تحت رئاسة محمد احمد ابو رنات، الا ان القضاة

الوطنيين لم يخضعوا ولم يستسلموا بل ظلوا يقاومون بمختلف الوسائل لحماية القانون واقامة العدل.

كان اوضح المواقف هو موقف القضاة الثلاثة عثمان خالد مضوي وعلي محمود حسنين والطيب عباس الزين. فقد رفضوا بيع ضمائرهم وهم يحققون في احدى القضايا اللا اخلاقية التي هزت الراى العام السوداني هزا. ووقفوا بقوة امام الاتجاهات الرامية لطمس الحقائق او اخفائها. فاجريت لهم محاكم التاديب حتى تم فصلهم من السلك القضائي.

واحيل القاضي عبد الرحمن النور الى المعاش تحت المادة ٣٢ ب لاصراره على تنفيذ القانون. ومع بداية ثورة اكتوبر احيل القاضيان بابكر عوض الله وعبد المجيد امام للمعاش حتى تمتت اعادتهما بعد نجاح الثورة.

الشيوعيون وفتور المقاومة

في صباح ١٧ نوفمبر ١٩٦١ اعلن الفريق ابراهيم عبود في خطاب الاحتفال بالعيد الثالث للثورة عن عزم الحكومة على تكوين لجنة لوضع (قانون المجلس المركزي)، وتحدث عن الديموقراطية الحقيقية، والانتخابات. والحديث بجملته تكرار لما نادى به في عامه السابق من ترديد فكرة قيام المجلس المركزي.

ثم تلاحقت الايام، ووضع قانون المجلس المركزي، وحددت سلطاته، وبدات الحكومة الخطوات الاولية في اجراءات انتخابه. في تلك المناسبة اصدر الشيوعيون منشورا بتاريخ ٩ مارس ١٩٦٣ حددوا فيه رايهم في المجلس المركزي :

* ان مجلسا يدعي بانه تمثيلي ثم لا يقوم على مبدا الانتخابات المباشرة لكل اعضائه، ولا يمارس كل الحقوق التشريعية .. هو مجلس مزيف.

* ان مجلسا لا يملك حق النظر في الاتفاقيات التي يبرمها النظام الراهن من معونات وقروض كبلت اسقلال السودان .. هو مجلس رجعي.

* انَ مجلسا لا يملك حق اقالة او تعيين رئيس مجلس الوزراء او محاسبته .. هو مجلس لا حول له ولا قوة.

* ان مجلسا لا يستطيع ان يحاسب الحكومة على جرائم ارتكبتها او ارتكبها وزراؤها في داخل البلاد وخارجها .. هو مجلس صوري.

* واخيرا فان المجلس المركزي المجرد من كل سلطة حقيقية ان هو الا ستار تخفي به الدكتاتورية وجهها الكريه الذي عافه الشعب .. ان هو الا تعبير عن فشل الحكم الدكتاتوري المباشر ومحاولة فاشلة لاكتساب الشرعية للتسول بها في دوائر راس المال كما نصح جون كنيدي الفريق عبود اثناء زيارته لامريكا).

سيتبادر الى الذهن بصورة مستعجلة سؤال كبير : اذا كان الشيوعيون يعرفون مسبقا عن المجلس المركزي انه مزيف .. ورجعي.. ولا حول له ولا قوة .. وهو مجلس صوري اتخذته الدكتاتورية ستارا تخفي به وجهها الكريه .. وهو محاولة فاشلة لاكتساب الشرعية للتسول بها في دوائر المال كما نصح جون كينيدي الفريق عبود .. اذن لماذا دخلوا انتخابات تساعد على تاسيس هذا الزيف الكبير؟

وتسجل السياسة السودانية اجابتين على هذا التساؤل : اجابة رسمية هي التي ادلى بها الحزب الشيوعي، واجابة اخرى غير رسمية نتيجة

لاستنتاج قاد اليه تحرك السياسة السودانية والسياسة العالمية في تلك الفترة.

اما الاجابة الرسمية التي برر بها الحزب الشيوعي دخوله الانتخابات فتركزعلى النقاط الاتية : (٩)

- اننا نعلم طبيعة المجلس المركزي ، ومن اجل هذا علينا ان نفضحه من الداخل، وان نسخره ما امكن كمنبر للدفاع عن الديموقراطية، ولمخاطبة الجماهير التي حرم حزبنا من الوصول اليها نتيجة مصادرة الحقوق الديموقراطية

- وسبب اخر، يرى الحزب الشيوعي اهمية خوض هذه المعركة الجماهيرية سياسيا وتنظيميا.

- وسبب ثالث، ان ابتعاد الوطنيين والديموقراطيين عن هذا الميدان سيترك الفرص لانصار النظام الراهن للتسلل الى داخل هذا المجلس للعمل من داخله على تدعيم النظام العسكري وعرقلة نظام الجماهير العمالية وكل الشعب بفرض المزيد من القوانين التعسفية.

- وسبب رابع، لقد واتت الجماهير السودانية فرصة لتستخدم صوتها للاعراب عن سخطها وعدائها للنظام الراهن وعن حقها في تحسين احوالها المعيشية والاجتماعية وحقها في الديموقراطية الحقيقية، فلا يجوز ابدا حرمانها من استخدام هذه الاصوات.

هذه هي الاسباب الرسمية التي دخل بها الحزب الشيوعي انتخابات المجلس المركزي. اما الاسباب غير الرسمية فهي التي تستنتج من تحرك السياسة السودانية والعالمية في تلك الفترة :

فبعد قيام الحكم العسكري بشهور قلائل بدات مطاردة الشيوعيين. ولاحق الاعتقال الزعماء الكبار. فقد اعتقل عبد الخالق محجوب ثلاث مرات، واعتقل احمد سليمان وعز الدين علي عامر وسعودي دراج والحاج عبد الرحمن وعبد الرحمن الوسيلة. ادت هذه الاعتقالات الى

زعزعة في تنظيم الحزب، وتسلم القيادة شباب الصف الثاني. وكان لذلك اثر داخلي واضح في تلك الفترة من اعوام ١٩٦٢/٦١/٦٠ .

حدث هذا بالنسبة لتطور الاحداث داخل الحزب الشيوعي السوداني.

اما في العالم الخارجي ففي تلك الفترة - ١٩٦٢- تمكنت السياسة السوفيتية بعد عناد ومشاكسة من التفاهم مع النظام المصري ، واتخذ الرئيس جمال عبد الناصر خطوة هامة بانعطافه نحو اليسار. اتضح ذلك بصورة واضحة بصدور (الميثاق الوطني) وقرارت يوليو ١٩٦١ الاشتراكية .

لقد بدا الرئيس جمال عبد الناصر حكمه بانعطاف واضح نحو الاخوان المسلمين في مصر، ولما احتدت الخلافات بينه وبين الاخوان في عام ١٩٥٤ اتخذ مواقفه المعروفه منهم ، وسار في الخط الغربي : طلبات السلاح وتمويل بناء السد العالي من امريكا .

ورفض الغرب ان يبيع لعبد الناصر السلاح. فاتخذ عبد الناصر القرار الاول الذي كسر به الطوق الغربي من حوله ووجهه نحو الشرق، ذلك القرار هو طلب السلاح من المعسكر الشرقي .. من تشيكوسلفاكيا. ولتلقي عبد الناصر درسا في الادب والاحترام فقد اعلنت امريكا رفضها تمويل السد لعالي. ورد عبد الناصر اللطمة بلطمة اقوى واعنف فاصدر قرارا بتاميم قناة السويس.

بعد هذه الاحداث الاربعة المتتالية والعنيفة كان اتجاه عبد الناصر نحو الشرق قد بدا ياخذ صورا مختلفة عن مجرد البيع والشراء وكسر احتكار السلاح.

كان نجاح الاتحاد السوفيتي وتفاهمه مع الرئيس عبد الناصر نجاح للسياسة السوفيتية الجديدة الغضة المتلعثمة بعد الستالينية الكثيفة، والتي بدات وكانها كشف جديد في عالم مجهول غير محدد الابعاد. ونجاح التجربة مع دولة لم تكن اشتراكية، بل وكان بينها وبين الدولة

الاشتراكية ود مفقود، وكان يربطها تعاطف واضح مع الغرب .. ترك هذا النجاح سؤلا كبيرا : لماذا لاتعاد هذه التجربة مع الدول الاخرى الشبيهة بمصر.. كالسودان مثلا ؟

اذن سرد هذا التسلسل من الاحداث مهم جدا لتوضيح تطور الوضع في السودان حتى عام ١٩٦٢. لقد بدأ الحكم العسكري في السودان بعداء واضح لكل الاحزاب والهيئات والتجمعات : جماعة الانصار، الحزب الوطني الاتحادي، جماعة الاخوان المسلمين والحزب الشيوعي. وقد تركز العداء على الشيوعيين بصورة مكثفة لاسباب خاصة تتعلق بطبيعة الفكرة الشيوعية والتنظيم الحركي للحزب، حتى اذا توسطنا عام ١٩٦٢ وجدنا ثلاثة عوامل التقت في تكييف العلاقة بين الحزب الشيوعي والحكم العسكري في السودان :

* بالنسبة للحزب الشيوعي فقد وصل حدا من الارهاق والارتباك سواء كان بسبب اعتقالات قادته الكبار، او بسبب الاكتشافات المتلاحقة لمخابيء ماكينات واعمال الحزب ، او بسبب حملات التفتيش غير المتوقعة. كان قد وصل حدا من الارهاق يهدد بضياع العمل الحزبي بعد ارتباكه، وبظهور طفيليات مراهقة في قمة القيادة بدخول بعض الشبان المراهقين السياسيين .

* بالنسبة للحكومة العسكرية فقد بدات تسير في دروب الحياد. وارتبط اسم الفريق عبود باسم الماريشال تيتو احد ابطال الحياد الايجابي. وحتى تتم موازانات الحياد فقد زار عبود امريكا والاتحاد السوفيتي، واعترف من قبل بجمهورية الصين الشعبية، وعقدت الحكومة اتفاقيات اقتصادية مع بعض الدول الشيوعية.

* بالنسبة للاتحاد السوفيتي فقد حلت في سياسته نظرية (من ليس مع امريكا فهو معنا) بدلا من (من ليس معنا فهو ضدنا) التي كانت سائدة في فترات من حكم ستالين. وتبعا لذلك فقد انفتحت ابواب موسعة

للعمل الدبلوماسي مدعما بالقروض والمعونات والتبادل التجاري وامكانات التسلح. ودخل الاتحاد السوفيتتي في حياة الشرق الاوسط من بابها العريض في مصر حينما قبل بتمويل عمليات السد العالي. ثم دخل العراق من باب خلفي مع انقلاب عبد الكريم قاسم. ثم دخل سوريا مع الوحدة. ثم انعطف على اليمن في اواخر ايام الامام احمد وايام البدر المعدودة ثم جمهورية السلال.

كان من الواضح اذن ان الاتحاد السوفيتتي لم يعد غريبا على المنطقة العربية. وهكذا التقى تجوال السوفيت في المنطقة العربية (الخام)، مع حاجة الحكم العسكري الى دعم خارجي في السياسة والاقتصاد، مع حاجة الحزب الشيوعي السوداني الى نوع من الاستجمام والراحة من عداء العساكر ومعتقلاتهم. التقت هذه الجبهات الثلاث لتكيف سياسة الحزب الشيوعي الداخلية وتجعله في وضع اكثر ملاطفة للحكم العسكري منذ يناير ١٩٦٣ حتى اكتوبر ١٩٦٤.

هذا الراي في الواقع تؤيده شواهد متعددة :

- لم يتعرض قادة الحزب الشيوعي لاي اعتقالات او محاكمات طوال عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٤ باستثناء قلة نادرة.
- اعتزل الشيوعيون الجبهة الوطنية لاحزاب المعارضة في يناير ١٩٦٣، وكان هذا التاريخ نهايتها الرسمية.
- دخلوا انتخابات المجلس المركزي عام ١٩٦٣ وهم كارهون للمجلس المركزي كما راينا.
- رفضوا تعضيد الاضراب الذي دعا له اتحاد عمال السودان الذي حله العساكر في سبتمبر وقبلو بلجنة النقابات العشر الكبيرة.
- عارضوا اضراب ٥ ديسمبر ١٩٦٣ الخاص بضم جامعة الخرطوم لوزارة التربية والتعليم .
- رفضوا ندوة اكتوبر الشهيرة.

هذا الاسترسال الطويل في الحديث عن علاقة الحزب الشيوعي بالجبهة الوطنية المعارضة وعن علاقته بالحكم العسكري منذ قبول الحزب بدخول انتخابات المجلس المركزي وخروجه من جبهة احزاب المعارضة .. هذا الاسترسال الزمني به سببان:

* اولهما ان الشيوعيين كانوا من اكبر قوى المعارضة للحكم العسكري، وانهم كانوا من العناصر النشطة في حركة الجبهة الوطنية .

* وان تاريخ انسحابهم من الجبهة الوطنية في يناير ١٩٦٣ كان على وجه التقريب هو التاريخ الرسمي لاعلان نهاية وجودها الفعلي.

جبهتان للمعارضة

اذا كان عام ١٩٦٣ يمثل عام تصدع جبهة احزاب المعارضة الوطنية واندثارها، فانه كان كذلك عام البداية لتكوين جبهتين جديدتين للمعارضة انبثقتا من بقايا الجبهة الاولى، وهما الجبهة الاسلامية والجبهة الوطنية الديموقراطية، واذا كان وجودهما العملي لم يتم بصورة واضحة ايام الحكم العسكري فانه قد تبلور بصورة واضحة - ومعدلة فيما بعد في جبهة الميثاق الاسلامي المحسوبة على الاخوان المسلمين، والجبهة الوطنية للهيئات المحسوبة على الشيوعيين.

الجبهة الاسلامية : بظهور بوادر تصدع الجهة الوطنية سار الاخوان المسلمون في طريق تكوين جبهة جديدة تتولى زمام المعارضة للوضع العسكري. كان الاخوان طوال فترة اشتراكهم في الجبهة الوطنية يشعرون بمسئولية خاصة تجاه السودان باعتباره المنفذ الاسلامي لافريقيا، ويرون ضرورة قيادة الاسلاميين للمعارضة. ونبتت من هنا فكرة تكوين جبهة اسلامية تتولى المقاومة لتسقط الحكم العسكري بالطرق الديمقراطية، وان يكون ميثاقها واضحا في مطالبته بحكم الشورى ورفض القهر والتسلط السياسي. واتصلوا بالسيد الصادق

المهدي باعتباره قائدا اسلاميا من حزب الامة ، ونصر الدين السيد – الذي كان على صلة وثيقة بالاخوان – من الحزب الوطني الاتحادي، لتجميع ذوي الاتجاهات الاسلامية في الحزبين الكبيرين. واذا كانت تلك الجبهة لم تر النور في فترة الحكم العسكري الا انها تبلورت وتعدلت فيما بعد في ديسمبر عام ١٩٦٤ لتظهر باسم (جبهة الميثاق الاسلامي).

الجبهة الوطنية الديمقراطية : لقد ايد الحزب الشيوعي منذ البداية تجمع احزاب المعارضة لان ذلك التجمع كان من الممكن ان يؤدي – وقد ادى بالفعل لتوسيع جو المعارضة العام للنظام العسكري. لكن (بمرور الزمن وبتزايد حركة الجماهير الثورية من عمال وزراع وطلاب ومثقفين اثبت تجمع الاحزاب عجزه عن مسايرة حركة الجماهير الصاعدة البعيدة العميقة.

(تجمع احزاب المعارضة اصبح مصدر خلط فكري شديد فيما يتعلق بالجبهة الوطنية الديموقراطية. ان كثيرا من الناس كانوا بعتقدون ان تجمع احزاب المعارضة هوالجبهة الوطنية الديموقراطية التي هي جيش متحد من القوى الثورية : العمال والمزارعون والطلاب والمثقفون الثوريون..)

ولكن هذه الجبهة كرفيقتها الجبهة الاسلامية لم تر النور في عهد الحكم العسكري كتنظيم قائم يتولى زمام المعارضة، الا انها تبلورت وتعدلت فيما بعد تحت اسم (الجبهة الوطنية للهيئات).

ثورة الطلاب

معركة الندوات

تدهورت الحالة في الجنوب بصورة مروعة في اغسطس عام ١٩٦٤. كانت الحكومة تحس بفشل سياسة العنف والضرب والقصف الذي ذهب ضحيته كثير من الابرياء في الجنوب. وكانت تحس بعزلة تامة عن الشعب وهي تعالج هذه المشكلة، ذلك لان الشعب كان يجهل مايجري في الجنوب، وكانت معلوماته تقتصر على مايدور همسا بين المواطنين من حكايات وشائعات. لقد تكتمت الحكومة اخبار المعارك الدائرة في الجنوب حتى لايحدث من خلال نشر انبائها في الصحف المحلية تسرب للنطاق العالمي.

ثم حدث ما لم يكن في الحسبان. فقد هرب احد مفتشي المراكز الجنوبية من العمل وانضم الى المتمردين بصورة علنية، واتجه الى الفاتيكان واسبانيا وبريطانيا ثم نيويورك مقر الامم المتحدة.

وبدا يخاطب الراي العام العالمي من خلال المنظمات المسيحية وغيرها عن معركة الاضطهاد الديني الذي يعاني منه المسيحيون في جنوب السودان، وعن معركة الابادة التي يشنها الشمال العربي المسلم على الجنوب الافريقي المسيحي، وعن حرب التحرير وابطال التحرير الذين حملوا السلاح في وجه الاستعمار العربي في الشمال .

وجدت القضية رواجا واسعا في اوروبا، وانتشرت الصور (الفوتوغرافية) التي تصور تخلف الجنوب والدمار التام الذي يواجهه. وتدفقت الاسلحة والمساعدات على المتمردين ، واستطاعت حركة التمرد ان تقف على ارض صلبة .

ذلك المفتش كان وليم دينق .

* * *

ارادت الحكومة ان تمتص الغضب الشعبي وذلك باشعار المواطنين بالخطر الذي يهدد وحدة البلاد، ومحاولة جر الجماهير الي تاييدها فيما اتخذت من حلول لمواجهة قضية الجنوب.

سارعت الحكومة بتكوين لجنة اسمتها (اللجنة القومية لشؤون الجنوب) برئاسة السيد احمد محمد يسن، وحاولت ان تحشد فيها بعض المواطنين الذين يحوزون الرضا الشعبي التام. وكلفت مكتب النائب العام بوضع قانون جديد يبسط الحماية القانونية لاي مواطن يرسل رايه كتابة الى االلجنة او يمثل امامها ليقول رايه. وبحكم هذا القانون تصبح الاراء سرية، ولن يضار اي مواطن من اي راي يدلي به بهدف حل مشكلة الجنوب مهما كانت محتويات ذلك الراي.

وسارت الحكومة خطوة اخرى وسمحت باقامة الندوات والمحاضرات العلمية التي تناقش مشكلة الجنوب. وصار وزراؤها وكبار رجال دولتها يغشون هذه الندوات امعانا في التاييد والسير في خطة التعبئة الشعبية.

كانت اولى الندوات واقواها على الاطلاق في الفترة حتى ٢١ اكتوبر ١٩٦٤ هي الندوة التي اقامتها جمعية (الدراسات الاجتماعية) بجامعة الخرطوم مساء الخميس ١٠ سبتمبر، وقد تحدث فيها الدكتور حسن الترابي، والاساتذة احمد عبد الحليم، عثمان خالد مضوي المحامي، امبروز ريني المحامي، وخوجلي عبد الحليم الموظف بوزارة المالية والاقتصاد.

كان المتحدثون يمثلون الاتجاهات الرئيسية في الجامعة : احمد عبد الحليم يمثل اليسار (الشيوعي) وخوجلي عبد الحليم يميل الى اتجاهات الوسط الذي يمثله في الجامعة المؤتمر الديموقراطي الاشتراكي، ويمثل امبروز ريني كتلة الجنوبيين، ويمثل الاخوان المسلمين الاستاذ عثمان خالد المحامي. ولم يدع الدكتور حسن الترابي بصفته ممثلا حزبيا اذ لم يمض على وصوله من باريس الا شهر واحد، فلم تعرف بعد هويته السياسية في اوساط جمعية الدراسات الاجتماعية. لقد دعي الدكتور الترابي بصفته خبيرا في القوانين الدستورية .

حضر الندوة السيد مامون بحيري وزير المالية والاقتصاد، وبعض الوزراء (١٠) وجيرفث ياك (١١) وعدد من كبار رجال وزارة الداخلية، والسيد احمد محمد يسن رئيس اللجنة القومية للجنوب واساتذة الجامعة والطلبة، ولقد امتلات حجرة الامتحانات الضخمة بهذا العدد الذي لم تشهد له مثيلا من قبل .

احدثت هذه الندوة الصريحة الجريئة صدى عميقا وواسعا في اوساط الشعب، وبدات مجموعات المعارضة المختلفة تحس بان هذه الندوات يمكن ان تتخذ سلاحا للتوعية.

كان ابرز المتحدثين الدكتور حسن الترابي الذي اكد ان قضية الجنوب هي قضية دستورية في المقام الاول، وقال ان هناك اعتداء على حرية الاخرين في الشمال والجنوب على السواء، ولكن ظروفا معينة تصاعدت بالامر في الجنوب الى تمرد عسكري، وخلص - وسط عاصفة من التصفيق - الى ان حل قضية الجنوب والشمال هو حل واحد يبدا بازالة الحكم العسكري.

هذا الصدى الواسع الذي وجدته ندوة جامعة الخرطوم دفع جامعة القاهرة - الفرع - الى ان تقيم ندوة في مساء الاربعاء ٢٣ سبتمبر حضرها عدد ضخم من طلاب الجامعة والمواطنيين . كذلك حضرها مساعدا سكرتير لجنة الجنوب الوطنية السيدان : الطيب عبد الله والنذير حمد.وتحدث في الندوة الاستاذ محمد صالح عمر الاستاذ بكلية الحقوق بجامعة الخرطوم، وعلي عبدالله يعقوب، والرشيد نايل المحامي، وبابكر الحاج الطالب بجامعة الخرطوم ومحمد خليفة فضول الطالب بجامعة القاهرة الفرع، واعقب الندوة نقاش شارك فيه الحاضرون.

اذا كانت اهمية ندوة جامعة الخرطوم في الندوة ذاتها باعتبار انها فتحت باب الندوات على مصراعيه لاقامة الندوات المعارضة وشجعت

المتحدثين على التزام جانب الحق والصراحة، فان اهمية ندوة جامعة القاهرة الفرع لم تكن في الندوة ذاتها لان ما قيل فيها كان حديثا مكررا عن الندوة السابقة ، ولكن اهميتها جاءت مما اثارته في الصحف من نقاش حاد بين الاستاذين محمد صالح عمر واحمد علي بقادي االمحرر بصحيفة (الراي العام).

قدم الاستاذ بقادي تلخيصا مقتضبا للندوة في مقاله الاول. وفي المقال الثاني انتقد المتحدثين جملة ووصفهم بانهم لم يقوموا بدراسة للمشكلة من جميع (جوانبها التاريخية والسياسيية والاقتصادية والاجتماعية حتى يخلصوا من ذلك الى اقتراحات محددة)، وقال (انهم لم ينظروا الى المشكلة نظرة قومية بعيدة عن الكسب الحزبي الضيق، وانهم او بعضهم هاجم لجنة الجنوب ووصف تكوينها بانه خاطيء، وانهم حاولوا جهدهم ان يربطوا بين مشكلة الجنوب وبين انعدام الحرية السياسية في البلاد)، ولم يخف موقفه من المتحدثين فاستخدم كلمات نابية. فوصف بعض المتحدثين بالتخريب والتشويش وانهم يدعون لتثبيط الهمم.

وتصدى له الاستاذ محمد صالح عمر واكد في رده (ان الاوضاع القهرية تحمل الناس على الاحجام عن ذكر ارائهم الصحيحة)، ثم استطرد قائلا (اما انا فانني ارى ان هذه القيود لا معنى لها ولا تفيد في حل المشكلة، بل الواجب ان نسمع جميع الاراء، ولا اقول تسمع داخل الحجرات حتى يكون القائل في امان، بل أرى أن تقال في الصحف والندوات ..)، وهاجم الاستاذ محمد صالح عمر كاتب صحيفة (الراي العام) لانه استعدى الحكومة على المتحدثين.

ورد الاستاذ بقادي على محمد صالح عمر ردا لاذعا، واعتبر ان الغبار الكثيف الذي اثاره الاستاذ محمد صالح عمر (ومن لف لفه) لن يخيفه، ولن يجعله يتراجع، وسيخوض المعركة حتى النهاية.

والواقع ان الاستاذ بقادي بوصوله بالموضوع الى هذه الدرجة لم يكن يعبر الا عن صحة المثل العربي (يكاد المريب ان يقول خذوني)، ذلك لان الاستاذ كان معروفا بموالاته للحكم العسكري، وكان معروفا لدى الجميع - انذاك - بانه اتخذ خطا سياسيا معاديا لتطلعات الشعب في الحرية والديموقراطية، لذلك فقد تحول نقاشه - من هذا المنطلق - من النقاش الهادي المنطقي الذي دعا له في المقال الاول الى الهجوم المقذع والاتهامات بلا مبرر واصفا الاستاذ محمد صالح عمر (ومن يلفون لفه) بانهم يحاولون الانحراف بهذه الندوات وصرفها عن غاياتها الاصلية وهي ايجاد الحلول لمشكلة الجنوب .

كان لهذا النقاش اثره الطيب في نفوس الناس عامة وفي نفوس طلاب جامعة الخرطوم بصفة خاصة. فلم يكد مقال الاستاذ بقادي يظهر في صحيفة (الراي العام) في الصباح الباكر من يوم الجمعة ٩ اكتوبر حتى كان مندوب جمعية الفلسفة بجامعة الخرطوم يدخل عليه في مكتبه بدار الصحيفة ويعرض عليه ان يتحدث في ندوة تقيمها الجمعية في مساء اليوم التالي ١٠ اكتوبر عن (التقييم العلمي لمشكلة الجنوب)، ذلك لان الاستاذ بقادي كان يتحدث كثيرا عن التقييم العلمي والدراسة العلمية والحلول العلمية .

ووافق الاستاذ بقادي .

وفي الموعد المحدد وجد نفسه وجها لوجه امام خصمه اللدود الاستاذ محمد صالح عمر .

ندوة ١٠ اكتوبر

كان النجاح الواسع الذي قوبلت به الندوات المعارضة للحكم العسكري والتي اتخذت من مشكلة الجنوب ستارا تتدثر به، كان هذا النجاح مثيرا لدرجة جعلت الناس - كل الناس - يفيقون من سباتهم

الطويل، ويدخلون السياسية من هذا الباب العريض الذي انفتح عليهم بلا مقدمات .

احست الحكومة بخطورة هذه الندوات وما صاحبها من نقاش فقررت ان توقف ذلك النقاش، وتوقف الندوات التي كانت مصدرا غنيا لتلك المناقشات .

وصادف هذا المنع اول ما صادف ندوة جمعية الفلسفة التابعة لاتحاد طلاب جامعة الخرطوم. فاتصلت وزارة الداخلية بمدير الجامعة وابلغته قرارها بمنع اي حديث عام عن مشكلة الجنوب. ولم يملك المدير - المغلوب على امره - الا ان يستجيب لهذا الامر وان يعمل من فوره على الغاء الندوة. وطلب من الدكتور عثمان سيد احمد المشرف على شئون الطلاب ابلاغ ذلك للجنة الاتحاد.

واسرع المشرف باستدعاء رئيس الاتحاد في الساعة الحادية عشر من صباح يوم الندوة، وابلغه بقرار المدير. وعرف اعضاء اللجنة الذين قابلوا المشرف ان خطابا من وزارة الداخلية قد وصل الى ادارة الجامعة يحمل مضمون ذلك المنع. وعقدت اللجنة التنفيذية اجتماعا قصيرا عاجلا في الحجرة العامة بداخلية النيل الازرق وقررت رفض قرار المدير، وعددت لذلك الاسباب :

* فقد جاء الطلب متاخرا جدا بالنسبة لانعقاد الندوة التي كان من المقرران تنعقد في مساء ذلك اليوم .

* وضح للجنة الاتحاد ان وراء هذا الطلب امرا صادرا من وزير الداخلية، ولذلك فان رفضهم للطلب معناه رفض امر وزارة الداخلية .

* اعتبرت اللجنة التنفيذية انها لو خضعت لهذا الامر فانه سيكون فاتحة لاوامر اخرى قد توقف نشاطات الطلاب المختلفة .

* واخيرا فان هذا الامر كان بالنسبة للطلاب تدخلا صريحا في استقلال الجامعة خاصة وان ذكرى القانون رقم ٩ لا تزال عالقة باذهان الطلاب .

كانت اللجنة التنفيذية مقتنعة بهذه الاسباب لذلك لم تتردد في ان تكلف رئيس الاتحاد حافظ الشيخ والسكرتير جلال الدين الطيب وعضو اللجنة عبد العزيز حمدي بابلاغ راي اللجنة للمشرف ليتولى ايصاله للسيد المدير .

ولكن وزارة الداخلية - رغبة منها في تصعيد جو الارهاب في الجامعة - ارسلت احد رجال البوليس ليقابل رئيس الاتحاد ويلزمه بالتوقيع على امر الغاء الندوة .

وبعد مشاورة قصيرة بين الرئيس وعضوي اللجنة لم تستمر اكثر من دقيقة ابلغ الحافظ البوليس بانه يرفض التوقيع على اوامر الحكومة لانه اساسا لايعترف بهذه الحكومة .

كان رجل البوليس ينتظر رئيس الاتحاد في مكتب المشرف، وعليه فقد كان رد رئيس الاتحاد ردا غير مباشر على المشرف. ولم يكن امام المشرف غير ان يبلغ المدير براي الاتحاد .

في حوالي الساعة الثانية عشر، اي بعد ساعة من المشهد السابق، طلب المشرف مقابلة رئيس الاتحاد وابلغه ان المدير يريد الاجتماع باللجنة التنفيذية بصورة عاجله في مكتبه، عقدت اللجنة اجتماعا قصيرا ثانيا في داخلية النيل الازرق .

كان موضوع النقاش هو دعوة المدير العاجلة للاجتماع باللجنة التنفيذية .

وبرز في اللجنة اتجاهان :

* اتجاه يرى ان لا فائدة من الاجتماع بالمدير ذلك لان الطلاب وعلى راسهم لجنتهم التنفيذية يعرفون اراء المدير مسبقا. وان الموعد امام اللجنة ضيق حتى موعد الندوة ومن الانسب ان يقضى في تنظيم ما يتعلق بالندوة .

كان هذا هو راي الاتجاه الاسلامي .

* اما الجبهة الديموقراطية ومعها باقي المعسكرات فان رايهم (انه من غير اللائق رفض دعوة المدير مهما كان راينا في موقفه).
وانتهى الاجتماع وكان راي اللجنة ان يجتمعوا بالسيد المدير.
وفي الساعة الواحدة ظهرا كان اعضاء اللجنة التنفيذية يدخلون مكتب المدير الذي كان يجلس الى جانبه الدكتور عثمان سيد احمد المشرف على شؤون الطلبة.
دارالنقاش حول محور واحد هو : استقلال الجامعة من النفوذ الحكومي .
شرح اعضاء اللجنة وجهة نظرهم شرحا وافيا. وذكروا للمدير بان منع مثل هذه الندوات والاستجابة لهذا المنع سيؤدي حتما الى تغلغل النفوذ الحكومي ويقضي في النهاية على استقلال الجامعة، ويفتح للحكومة ثغرة تمكنها من المطالبة بوقف كل نشاطات الطلاب وخاصة النشاط الثقافي .
وردد المدير ماسبق ان ردده من قبل من انه احرص الناس على استقلال الجامعة، واكد لهم انه لولا امله في ان تظل الجامعة تحت ادارته محتفظة باستقلالها لما بقي في منصبه حتى هذه اللحظة، ثم قال لهم ان قراره بالغاء الندوة ما هو الا (security order) بالنسبة للجامعة.
والواقع ان هوة الخلاف ظلت واسعة بين المدير واتحاد الطلاب حول موضوع واحد هو : ما معنى استقلال الجامعة ؟
قال المدير (ان استقلال الجامعة يجب الا يفهم الا في حدود قوانين الدولة).
وكان راى اللجنة التنفيذية انها لا تعترف اساسّا بالسلطة التنفيذية الحاكمة، وان هذه السلطة الحاكمة تطبق القوانين بحسب ما يخدم وضعها.

واحتسم المدير الاجتماع بقوله : انـه لا يقـول ذلـك الا حفاظـا علـى استقلال الجامعـة ومسـتقبل الطـلاب واتحـادهم ولجنتهـم التنفيذيـة، وانـه يرجو ان يحكموا العقل قبل العاطفة.

وانتهى الاجتماع في السـاعة الثانيـة والنصـف بعـد ان اكـد اعضـاء اللجنة التنفيذية للمدير بانهم مصرون على اقامة الندوة.

مع خروج الطلاب من مكتبه اصدر المدير توجيهاته للمشرف بـان يقفل دار الاتحاد في تلك الامسية والا يسمح لتلـك الجمعيـة بصـرف اي مبلغ لاستئجار مكبرات الصوت.

ولم يكن هناك بد من ان تتحول الندوة من دار الاتحاد الى داخليـات الجيش (البركس)، فاقيمت في ميدان (النجيلـة) الواقـع بيـن داخليتـي كسلا والقاش.

وابلغت سلطات البوليس المتحدثين في النـدوة بـان هـذه النـدوة غيـر مشـروعة، وان عليهـم الا يشـتركوا فيهـا والا فـانهم سـيوقعون انفســهم تحت طائلة القانون.

كان من المفروض ان يتحدث في هذه الندوة الاساتذة : محمد صالح عمر - احمد على بقادي - محمد مختار الاصم - حسن الطاهر زروق . الا ان الاستاذ الاخير اعتذر في اللحظات الاخيرة معتذرا بوعكة المت به.

تحـدث فـي اول النـدوة السـيد محمـد مختـار الاصـم حديثـا قيمـا مـن الناحية التاريخية للمشكلة.

ثم اعقبه الاستاذ احمد على بقادي الذي بدا حديثه جالسا ثـم راى ان يقف، ولكن سوء الطالع داهمه في تلـك اللحظـة بـالذات، ذلـك انـه كـان يبشر بالديموقراطية الجديدة التي تطبق في السـودان وفـي دول افريقيـا. وكانت له مواقف معروفة في الحديث عن الاوضاع الجديدة والتغييرات التي تمر بها البلاد المختلفة واقطار افريقيا بصفة خاصة .

لم يكد الاستاذ بقادي يقف حتى ظهرت طلائع البوليس المكلفة بفض الندوة، فاضطر لان يجلس قبل ان يعتدل في وقفته وهو يقول :(الافضل ان اتحدث جالسا).

وعلت بين الحاضرين من الطلبة همهمة، ربما كانت تعبر عن مفاجاتهم بدخول البوليس بهذه الصورة السافرة في حرم الجامعة !!

واتخذ رجال البوليس موقفهم في صفين متقابلين، وحاصروا الطلاب من الشرق والغرب، بينما كانت داخليتا كسلا والقاش تحاصران الطلاب من الجنوب والشمال.

وحدث تحرك واضطراب بين الطلاب، وتوقف المتحدث عن الكلام.

وتقدم حافظ الشيخ من المايكرفون وطلب من الطلاب التزام الهدوء، وطلب من المتحدث ان يستمر في حديثه، ثم ذهب ومعه سكرتير الاتحاد ومعهم بعض اعضاء اللجنة التنفيذية لمقابلة ضابط البوليس المسئول.

كان تدخل البوليس بهذه الصورة مفاجاة لم يتوقعها حتى اكثر الطلاب تشاؤما، لذلك لم يدر بخلد احد اعضاء اللجنة التنفيذية او المجلس الاربعيني ان يسال هذا السؤال : ما العمل اذا تدخل البوليس ؟

لقد الجمت المفاجاة الالسن، فلم تعد تسمع الا الهمهمة الخافته.

ولم يكد ضابط البوليس ينتهي من صف رجاله حتى وجه (مايكرفونه) الى الطلاب امرا اياهم ان يفضوا الندوة وان يتفرقوا بسلام.

ويبدو ان صدمة المفاجأة الاولى تلاشت عند بعض الطلاب، فارتفعت صيحات استنكارهم وشتائمهم تنصب على رجال البوليس، واخذ بعض الطلاب يتحركون تجاه البوليس.

كانت تلك هي اللحظات التي تقدم فيها رئيس الاتحاد من (المايكرفون) وطلب من الطلاب التزام الهدوء.

وقابل رئيس الاتحاد وسكرتيره والتجاني سعيد عضو اللجنة التنفيذية ضابط البوليس المكلف بفض الندوة وعرفوه بانهم مسئولون عن الندوة، وانه لن يحدث فيها اي شيء يخل بالامن، وعرفوه بان تدخل البوليس في حرم الجامعة عمل لا تقره القوانين التي تسير عليها الجامعة، ويستنكره العرف العالمي.

رفض الضابط هذا الطلب. لم يكن - بالطبع - في حالة تسمح له بان يناقش.

قال الضابط انه يحمل امرا من المسئولين لا يحتمل المناقشة والجدال، وانه مرسل من (جهات عليا) لتفريق الندوة.

ودعا رئيس الاتحاد اللجنة التنفيذية لاجتماع عاجل، كان الاعضاء في شبه اجتماع دائم ، لذا لم يتعد جمعهم الا دقائق معدودة.

في هذا الجو القلق المضطرب الذي يكتنفه التوقع والتوجس، عقدت اللجنه اجتماعها في الحجرة الاولى بداخلية سوباط، ولا تبعد هذه الحجرة اكثر من عشرين مترا من محل الندوة .

اجتمعت اللجنة وعلي الفور ارتفعت اصوات النقاش الحاد المتوتر بين الطلاب. ارتفعت الاصوات المندفعة المتحمسة تدعو للهجوم على البوليس. وارتفعت الاصوات الاخرى تدعو لانتظار كلمة الاتحاد.

واحاط بعض الطلاب بحجرة الاجتماع وعلا النقاش وارتفعت الاصوات، وكان معظم الطلاب في حالة هياج وحماس شديد.

كان الاجتماع في هذا الجو العاصف مستحيلا. فقررت اللجنة ان تجتمع في مكان اخر اكثر هدوءا .

وقع الاختيار على الغرفة الاخيرة من الجهة الغربية من امتداد داخلية بحر الجبل. كان اجتماعا قصيرا لم يستغرق اكثر من عشر دقائق ولم تدون فيه وقائع للجلسة .

كان الامر المطروح هو : هل تستمر الندوة ام لا ؟

وبعد تداول قصير اجمعت اللجنة علي فض الندوة، واستطاعت ان تجد عدة تبريرات لهذا القرار :

* فالطلاب لم يكونوا مهيئين نفسيا، قبل الندوة، لاي صدام مع البوليس.

* وان العدد من الطلاب الذي حضر الندوة كان صغيرا جدا بالنسبة لعدد طلاب الجامعة مما قد لايتاتي معه اجتماع كلي لكلمة الطلبة على النتائج مهما كانت، وان قلة عدد الطلاب ستجعلهم في موقف العاجز عن الدفاع في حالة الصدام مع البوليس.

* كان المتحدثون من خارج نطاق الطلاب، لذلك رات اللجنة ان لا تزج بهم في المعركة اذا نشبت .

* لم يكن الطلاب مسلحين ولم يكونوا مستعدين اي استعداد مادي او عددي، ولم تتوقع اللجنة قبل الندوة ان يتدخل البوليس بهذه الصورة السافرة.

وبناء على ذلك كله فقد كلفت اللجنة رئيس الاتحاد بابلاغ القرار للطلاب. ويقضي القرار بفض الندوة الحالية بعد ذكر الاسباب السالفة، وان يعد الطلاب بان اللجنة ستقيم ندوة تحد اخرى بعد ان تكتمل استعدادات الطلاب، واستطاع حافظ الشيخ رئيس الاتحاد، بعد جهد ان يكبح جماح الطلاب وان يقنعهم براى اللجنة.

وتفرقت الندوة .

وطلب الضابط مرة اخرى ان يقابل رئيس الاتحاد وسكرتيره وصحبهما الى مقر بوليس السفارات، وهناك جرى لهما تفتيشا دقيقا فوجد عند حافظ الشيخ بيانين كانت اللجنة التنفيذية قد وافقت على رفعهما الى السيد مدير الجامعة والى وزير الداخلية في صباح اليوم التالي.

كانت اللجنة التنفيذية قد عقدت اجتماعا بعد عودتها من اجتماع المدير.

في هذا الاجتماع قدم اقتراحان :

يقضي الاقتراح الاول بتقديم مذكرة الى السيد مدير الجامعة تحتج على تدخل البوليس السافر في الحرم الجامعي وتستنكر سكوت ادارة الجامعة على هذا التدخل .

ويقضي الاقتراح الثاني بان ترفع مذكرة شديدة اللهجة للحكومة العسكرية تنتقد الاوضاع القائمة وتطالب بتصفية الحكم العسكري واقامة حكم نيابي ديموقراطي، وتنتقد سياسة الحكومة العامة، وتخصص النقد في تصرفاتها الاقتصادية وفي نهجها في حل مشكلة الجنوب، وتدين تدخل البوليس في الحرم الجامعي وترفض مساعي الحكومة للقضاء على استقلال الجامعة.

بعد ان فضت الندوة وطلب البوليس من رئيس الاتحاد وسكرتيره ان يصحباه ، بقي الاستاذ محمد صالح عمر في الجامعة ينتظر عودتهما. ولما طالت مدة الانتظار ذهب الاستاذ الى مقر البوليس فعلم انهما اعتقلا وتم نقلهما الى القسم الشرقي حيث بقيا ساعتين، فضمنهما واطلق سراحهما في الساعة العاشرة مساء.

في صباح اليوم التالي للندوة (١٢) وفي تمام الساعة التاسعة والنصف تجمع الطلاب في شارع الاسفلت الذي يفصل بين داخليتي النيل الابيض والنيل الازرق حيث قرا عليهم حافظ الشيخ - رئيس الاتحاد - مذكرة فاترة لم ترق الى مستوى الاحداث .

فقد احتد الخلاف داخل اللجنة التنفيذية حول طبيعة المذكرة وكيف تحمل ؟

كان راى بعض اعضاء اللجنة ان الموقف لا يحتمل المهادنة، لذلك فان اي مذكرة لا تكون في قوة موقف الطلاب لن تجد اي قبول عندهم، وعليه فانهم يقترحون ان تكون المذكرة شديدة اللهجة وان يحملها موكب صاخب يضم كل طلاب الجامعة.

وكان راى البعض الاخر ان السيد مدير الجامعة لا علاقة له بالحكم العسكري، ولذلك فليس من المنطق ان يبعثوا له بمذكرة شديدة اللهجة، واقترحوا ان يحمل المذكرة موكب صامت لمكتب المدير.

وبعد حوار ونقاش مستفيض اتفق اعضاء اللجنة على ان تاخذ نصفا من كل اقتراح، وذلك بان تكون المذكرة معتدلة اللهجة وان يحملها موكب صاخب.

وهكذا قرا حافظ الشيخ المذكرة، ولم تكن بالقوة المطلوبة، ولم يكن لها صدى بين الطلاب، واستقبلوها بفتور شديد، وقابل احد الطلاب حافظ - رئيس الاتحاد - وقال له (كانت ثقتنا فيك كبيرة .. لكن ياخسارة ..).

وبقيت مذكرة الحكومة، التي اثارت جدالا عنيفا في اوساط اللجنة التنفيذية.

اولا لم تختلف اللجنة حول مضمون المذكرة،، واتفق الاعضاء على ان يضمن فيها ما ضمن في المذكرة التي قبض عليها البوليس حينما كانت في جيب حافظ الشيخ.

ولكنهم اختلفوا بعد ذلك في من يحمل المذكرة ؟ والى من تحمل ؟

كان الراى الذي اقرته اللجنة التنفيذية هو ان تحمل اللجنة المذكرة الى وزير الداخلية نيابة عن الحكم العسكري، ذلك لان وزير الداخلية كان الوجه الذي يقابل به الحكم العسكري الشعب، ولان وزير الداخلية كان القنطرة التي مرت بها جميع المشاكل من الحكومة الى الشعب، ولان الامر الذي صدر لادارة الجامعة بوقف الندوات جاء عن طريق وزير الداخلية.

كان الراى المعارض هو ان يحمل المذكرة اعضاء المجلس الاربعيني لاتحاد طلاب جامعة الخرطوم، وان تسلم الى المجلس الاعلى للقوات المسلحة باعتباره السلطة العليا واصل الداء .

***

صاغ حافظ الشيخ مذكرة وزير الداخلية، وبعد الصياغة عقدت اللجنة التنفيذية اجتماعا خاصا لسماع محتويات المذكرة .

اعترض احد اعضاء اللجنة على كلمة (لله) التي اختتمت بها المذكرة (لله والتاريخ والوطن). وبعد نقاش مستفيض حول هذا الاعتراض واعتراضات اخرى اجيزت المذكرة كما هي دون حذف او تغيير.

وفي نهار الثلاثاء ابلغت سكرتارية الاتحاد وزارة الداخلية بان لجنة الاتحاد ستسلم وزير الداخلية مذكرة باسم الطلاب في صباح الاربعاء ١٤ اكتوبر.

وفي صباح الاربعاء تجمع الطلاب بعد المحاضرة الثانية بين داخليتي النيل الابيض والنيل الازرق (١٣) ليستمعوا الى المذكرةالتي سترفع الىوزارة الداخلية.

كانت المذكرة قوية وعنيفة، وصفها احد اعضاء اللجنة بانها (مذكرة للتحدي والاستفزاز). وقد اعترف احد اركان الحكم العسكري بانها اعنف مذكرة تقدم للحكم العسكري منذ ١٧ نوفمبر ١٩٥٨ .

لقد ازالت هذه المذكرة المرارة التي احس بها الطلاب في اليوم السابق عندما قرئت مذكرة المدير الضعيفة التي لم تشبع حماسهم ولم تعبر عن صارخ احتجاجهم واستنكارهم وتحديهم للسلطة الحاكمة وكل من يتعاون معها. ولم يحضر كثير من الطلاب لسماع هذه المذكرة الملتهبة ظنا منهم انها ستكون في مستوى المذكرة السابقة.

وقوبلت المذكرة بالتصفيق والهتاف الداوي بسقوط الحكم العسكري.

وبعد فطور خفيف ركب اعضاء اللجنة سيارة (البولمان) التابعه لجمعية الخدمات الاجتماعية، واتجهوا في العاشرة والنصف الى وزارة الداخلية.

كان جميع الطلاب يظنون ان اللجنة التنفيذية لن تعود قريبا او ربما لن تعود مطلقا للجامعة.

لذلك فقد طال موقف الوداع وتجمهر عدد كبير منهم حول سيارة (البولمان) يلقون بالنظرة الاخيرة على رجال المعتقل، وقد سلم اعضاء اللجنة التنفيذية اعمال مكاتبهم لمن سيخلفونهم، وكتبوا بعض الرسائل الخاصة لاهلهم.

سار (البولمان) ببطء امام (قهوة النشاط) والطلاب يحفون به، واعضاء اللجنة يبتسمون في وجوه مودعيهم ابتسامات تشجع وتجلد.

واخيرا اتجهوا لوزارة الداخلية ..

وفي وزارة الداخلية استقبلهم الحارس عند الباب، فابلغوه انهم على موعد مع وزير الداخلية ليسلموه مذكرة من اتحاد طلاب جامعة الخرطوم.

وجاءهم احد الكتبه وقادهم الى غرفة الجلوس، ثم رجع ليسلم رسالتهم الى سكرتير الوزير، وطلب السكرتير ان ترسل له المذكرة، وانتظروا نصف ساعة قبل ان يدخل عليهم الكاتب لياخذهم الى سكرتير الوزير، وطلب منهم السكرتير ان يكتبوا اسماءهم في مؤخرة المذكرة وان يضع كل منهم توقيعه بجانب اسمه.

بعد نهاية هذه الاجراءات طلب منهم السكرتير ان يعودوا واكد لهم ان المذكرة ستسلم للسيد الوزير. لم يصدق الاعضاء ان ينتهي الامر بهذا اليسر، لذلك فقد اصروا على مقابلة الوزير.

كان الاعضاء قد رتبوا امر مقابلة الوزير واستعدوا لها استعدادا تاما. فهذا الوزير نفسه (١٤) كان قد قابل اعضاء لجنة الاتحاد السابقة برئاسة ربيع حسن احمد واستفزهم ولم يتوانوا عن الرد عليه باعنف مما قال. لذلك فقد اعد هؤلاء ما يمكن ان يقال في هذه المناسبة، وتقسموا الكلام بينهم ، وكانت المذكرة نفسها شديدة لدرجة (اننا توقعنا

ان الوزير بمجرد ان يقراها سيعرف اننا جئنا بعين حمرة)، كما قال حافظ.

ويبدو ان الوزير كان اعقل مما تصوروا، ذلك انه بعد ان قرا المذكرة شعر بخطورة الموقف فلم يستدعهم للمقابلة.

وازاء اصرار اعضاء اللجنة على مقابلة الوزير اضطر السكرتير الى ان (يسحب) كذبته الاولى، فقال ان الوزير قرا المذكرة وهو الذي طلب كتابة التوقيعات عليها، لكن رغم ذلك اصر الاعضاء ان ترسل المذكرة امام اعينهم الي الوزير حتى يتاكدوا من وصولها، ولم يجد السكرتير بدا من ان يحملها ويدخل بها مكتب الوزير.

واخيرا رجع اعضاء لجنة الاتحاد الى الجامعة غير مصدقين لما حدث (وكان الرجوع خيبة امل لنا، وكانت مفاجاة للطلبة ان نعود ولا نعتقل) كما قال احدهم.

في صباح الخميس وصل امر من وزارة الداخلية باستدعاء اللجنة التنفيذية لمقابلة الوزير. وفي حجرة الاستقبال - في قسم المباحث - قضى اعضاء اللجنة ساعة كاملة دون ان يتصل بهم احد او ان يعرفهم لماذا استدعوا : ثم دخل عليهم بعض ضباط المباحث ووزعوا عليهم استمارات استجواب ليسجلوا فيها بعض البيانات عن الاسم والعمر وبعض التفاصيل عن الاهل، وان يكتب كل واحد اسمي اثنين من اصدقائه.

وفي اثناء عملية تسجيل المعلومات، وعندما كان الضابط يملأ (استمارة) التجاني سعيد داؤد وجد فقرة تقول: العلامة المميزة للشخص، فنظر اليه الضابط مليا ولكنه لم يجد عليه علامة مميزة، فكتب : كثير الابتسام.

وارسلوهم بعد ذلك - على انفراد - الى قسم التصوير بالوزارة حيث اخذت لكل منهم اربع صور على اوضاع مختلفة .

وبعد نهاية عملية التحقيق تحول الشك في انهم لن يقابلوا الوزير الى يقين، وتاكدوا من ان استدعائهم ليس الغرض منه مقابلة الوزير، انما لامر اخر تاخر موعده ٢٤ ساعة.

وفي منتصف الساعة الثانية وقفت ثلاث عربات (هلمان) بيضاء امام قسم المباحث وطلب منهم ان يركبوا.

حتى تلك اللحظة لم يخطروا بصورة رسمية بانهم سيعتقلون، والواقع انهم لم يخطروا قط بواسطة البوليس انما كان الاخطار العملي هو وقوف العربات الثلاث امام سجن كوبر.

تحركت العربات، وفي كل عربة ضابط بوليس، بشارع ٢١ اكتوبر (النيل سابقا). ثم عرجت بالشارع الواقع بين القصر الجمهوري ورئاسة البريد والبرق، ثم بشارع القصر، ثم بشارع الجمهورية الى كوبري النيل الازرق ومنه الى كوبر. لقد تجنب رجال البوليس شارع النيل وشارع الجامعة خوفا من ان يمروا بتجمعات الطلاب في هذين الشارعين فيحدث ما لا تحمد عقباه.

الاسبوع الموحش

في الطريق الى كوبر كان الصمت الثقيل يدثر العربات الثلاث بظلال كثيفة.

لم يكن الخوف او الاستغراب هو المسيطر على المعتقلين، ذلك لانهم كانوا يتوقعون هذه النتيجة وكانوا يسعون اليها سعيا.

كان الاعتقاد العام ان مدة الاعتقال قد تطول لتصل الى عدة شهور كما حدث للجنة سابقة في عام ١٩٥٩.

ولم تطل فترة التفكير والوجوم اذ سرعان ماوصلت العربات الى سجن كوبر، واخذ ضابط البوليس اوراق المعتقلين ودخل بها مكتب مامور السجن وترك المعتقلين في الحجرة الخارجية.

ووصل الى اذانهم صوت ضابط البوليس وهو يقول لمامور السجن (الجماعة دي خليهم امانة عندك لغاية مانطلبهم).

ثم ادخل المعتقلون الى مكتب المامور الذي امرهم ان يسلموا كل ممتلكاتهم لسلطات السجن.

في ركن المكتب البعيد كان هناك شاب (ابيض) اللون يبدو من مظهره انه سجين سياسي، كان يفرز وينظم بعض الكتب المدرسية بما فيها كتب باللغة الانجليزية، وعلموا فيما بعد انه عبد الله الطاهر بكر نزيل احدى زنزانات كوبر.

ثم تبع المعتقلون الجاويش (النبطشي) فقادهم الى فناء كبير بداخل السجن حيث اصطف اعضاء اللجنة للتفتيش، ومن الطريف ان احد اعضاء اللجنة كان يحمل علبة (تمباك). وفي اثناء التفتيش فتح العسكري العلبة وادخل اصبعه وبحث بداخلها حتى تشتت بعض (التمباك)، فصاح فيه صاحبها (ياخي ما تعمل حسابك).

وضج الجميع بالضحك.

وبعد نهاية التفتيش قال لهم مامور السجن (نحن متاسفين لانه ماعندنا حاجة نقدمها ليكم، وعلى كل حال تعيينكم حيطلع يوم السبت).

وكان ذلك يعني انهم سينتظرون ثماني واربعين ساعة بدون طعام، فطلبوا منه ان يشتري لهم شيئا بالنقود التي كانوا يحملونها.

وصحبهم (الجاويش) بعد ذلك الى المكان المعد لهم، وقبل ان يصلوا الى الحجرات مروا بفناء (حوش) كبيير فيه ثلاث حجرات، كان يسكنها الاستاذ احمد سليمان المحامي وشاشاتي صاحب (الاجزخانة) المشهور (١٥)، ورجل ثالث كان مشتركا في قضية اختلاسات المناقل المشهورة ايام الحكم العسكري.

فتح (الجاويش) باب السور الحديدي الذي يفصل بين (حوش) الاستاذ احمد سليمان ومجموعته وبين (الحوش) الاخر الذي سينزل فيه المعتقلون الجدد.

كان اول مالفت انظار القادمين الجدد سبل الراحة المتوفرة في سجن كوبر بالنسبة للسجناء السياسيين.

ان اسم كوبر يرتبط في الاذهان عادة بالظلام والوحشة والوحدة والانقطاع عن العالم. ولكن الحال لم تكن كذلك. فقد لاحظ السجناء الجدد ان كل الامتيازات التي كان يمكن ان يجدها الاستاذ احمد سليمان -مثلا- خارج السجن قد وفرت له بداخله : كانت تصله الصحف العربية والانجليزية والسودانية بانتظام، وفي حجرته وضعت طاولة عليها (كوتشينة)، واسرة مفروشة ونظيفة وراديو وسجين يغسل الملابس وينظم الحجرة.

لم يكن المعتقلون الجدد يتوقعون وجود اسرة وفرش نظيف وبطاطين وسجين رهن الاشارة ليقوم بغسل الملابس وتنظيف الحجرة وترتيب السراير، ونور كهربائي (ودش) للاستحمام.

كان (الحوش) الممتد يحتوي على حجرتين، وفي كل حجرة خمسة اسرة.

في العصر حاول القادمون الجدد التعرف على جيرانهم من نزلاء السجن العتيق.

فقد تعرفوا بجيرانهم من الشرق وهم كما قدمنا الاستاذ احمد سليمان ومجموعته.

وكان يجاورهم من ناحية الغرب الاخوان احمد محمد ابو الدهب ومحجوب بابكر صالح سوار الدهب.

اشترك الصاغ احمد محمد ابو الدهب واليوزباشي محجوب بابكر سوار الدهب في محاولة ٢٢ ابريل ١٩٥٩ الانقلابية التي كان يقودها الاميرالاى عبد الرحيم شنان والاميرالاى محي الدين احمد عبد الله، وانعقدت لهم محكمة عسكرية كبرى برئاسة اللواء محمد طلعت فريد واصدرت احكامها في ٢٢ سبتمبر ١٩٥٩ وقد حكمت على احمد محمد ابو الدهب بالسجن المؤبد بينما كان نصيب محجوب سوار الدهب السجن خمسة عشر عاما.

كان (الاخوان ابو الدهب) خير عزاء للطلاب المعتقلين، فقد قدما لهم في نفس يوم التعارف شيئا من الفواكه والصحف عن طريق مجرى مياه الامطار، من تحت الحائط، وكان هذا هو طريق الاتصال الوحيد لتبادل الهدايا.

بعد اقل من ساعة لوصول الطلاب للسجن كان كل السجناء قد علموا بامر القادمين الجدد.

كان يسكن في الجهة الشمالية عدد من السجناء ذوي السوابق من المجرمين العتاة. فلما علموا ان بعض النزلاء قد احتلوا المسكن الواقع الى الجنوب من مسكنهم تقدموا من بابه وبداوا يطرقون طرقا عنيفا،

وطلبوا من الطلاب ان يعرفوهم بشخصياتهم، ولماذا جاءوا الى السجن!؟

تولى حافظ الشيخ وعلى سالم مهمة التعريف، ولم يكد السجناء يعرفون ان القادمين الجدد من الطلاب حتى قذفوا اهم بـ(كورة الشراب)، وكانت العزاء الاكبر والصديق الوفي.

لم يكن يوم ١٥ اكتوبر عام ١٩٦٤ يوما من ايام الجامعة ومعلما خالدا من معالم النضال السياسي في هذه المؤسسة التعليمية المناضلة فحسب، انما كان يوما عالميا شهد احداثا على نطاق العالم في الشرق والغرب على السواء.

فلم تكد الساعة الحادية عشر ليلا تمر بقليل حتى سمع النزلاء الجدد صوتا يناديهم من الخارج كان هو صوت الاستاذ احمد سليمان وهو يتحدث اليهم من وراء الحائط.

كان الاستاذ قد سمع نشرة اخبار الساعة الحُادية عشر من لندن. كان اهم حدثين عالميين هما عزل المستر نيكيتا خرتشوف من منصبيه القياديين في رئاسة الوزارة السوفيتية والسكرتارية العامة للحزب الشيوعي السوفيتي وتكامل فوز حزب العمال البريطاني على حزب المحافظين باغلبية ضئيلة لم تتعد الثلاثة مقاعد وصعوده الى الحكم بعد ان بقى في المعارضة ثلاثة عشر عاما.

في اليوم التالي عقدت اللجنة التنفيذية في السجن اجتماعا لتوزيع الاعمال في المعتقل وترتيب البرنامج اليومي.

فتكونت لجنة المطبخ من عبد العزيز حمدي وفاروق عبد الرحمن والتجاني سعيد، واختير عضو لملء الازيار .. الخ .. وقرروا ان يكون البرنامج اليومي حافلا شيقا .

كان (الجاويش النبطشي) يحضر في الساعة الرابعة صباحا ليأخذ (البلاغات) وهي كشف باسماء المرضى الذين يودون مقابلة طبيب

السجن. كان المسئول عن تبليغ ذلك نيابة عن اللجنة عبد العزيز حمدي، لذلك فقد كان يضع سريره بالقرب من الباب الذي يدخل منه الجاويش. بعد ذلك صلاة الصبح التي يصليها عادة في جماعة خمسة من اعضاء اللجنة التنفيذية، وتعقبها بعض التلاوة من القران الكريم وتفسير من (ظلال القران).

في الساعة السادسة صباحا تكون لجنة الطعام قد اعدت الشاي، ثم ينقسم العشرة الى فريقين (للدافوري) الذي يستمر حتى الساعة التاسعة.

بين الفطور والغذاء يلعب بعضهم(الكتشينة) بينما يقضي الاخرون وقتهم في القراءة او النوم.

بعد الغذاء وحتى الساعة الرابعة فترة راحة، ثم تعقبها الفترة الثانية (للكورة) حتى صلاة المغرب، حيث تكون لجنة الطعام قد اعدت شاي المغرب.

ثم يجلسون في مجموعات متفرقة او مجموعة واحدة او يتوزعون على جيرانهم من الشرق والغرب حيث تدور بعض المناقشات في السياسة والفكر والمسائل العامة.

كانوا مرة يتحدثون مع الاخوين ابو الدهب حول احتمال قيام حركة انقلابية من داخل الجيش تطيح بالوضع القائم.

كان راى الاخوين ابو الدهب ان ذلك محتمل جدا، واخبروهم بان بعض المحاولات قد جرت ولكنها كبتت قبل ان ترى النور، ولم يعلن عنها.

انقضت اربعة ايام ولم تصلهم اي اخبار من الجامعة.

لقد تركوا الطلاب خلفهم وروحهم المعنوية عالية وهم مستعدون بل ومصرون على اتخاذ خطوة صدامية مع البوليس.

ماذا حدث حتى تاخر الصدام المرتقب الى هذا الحد ؟ هل اقفلت الجامعة ابوابها، ام ان الدراسة استمرت وكان شيئا لم يكن ؟

الوقت يمر بطيئا متثاقلا والهواجس تعصف براحتهم.

وبداوا يفكرون في حيلة يخرجون بها احدهم من اسوار السجن حتى يتلمس الاخبار.

طلبوا مرة من الدكتور ان يرسل لهم احد الممرضين ليقوم بعمليات دلك بدهان (كافور) لجلال الدين الطيب وعلي سالم. ومنذ دخول الممرض تبدا الاسئلة تنهال عليه، عن الوضع خارج السجن .. عن الجامعة .. عن الطلاب.

كانوا يحسون ان في الافق شيئا يوشك ان يهز اركان الحكم العسكري هزا .. ولكن ما هو؟ .. لا احد يدري .

لم يكن الممرض يعرف شيئا، فقد كانت الخرطوم هادئة، ولم يكلف الممرض نفسه عناء الذهاب الى الجامعة، لذلك لم يكن ما يقوله يعكس اي شي عن الوضع في الخارج.

وفجاة قفزت الفكرة الى ذهن جلال الدين الطيب. كان جلال على موعد مع طبيب الاسنان الدكتور احمد عبد المجيد في يوم الثلاثاء ٢٠ اكتوبر.

ورتبوا امرهم على انجاح امر خروجه.

وفي صباح الاثنين اخطروا مامور السجن وطبيب السجن - دكتور الشلالي - اثناء مرورهما اليومي بان جلال يود مقابلة دكتور احمد عبد المجيد على موعد سابق. واستطاع زكريا بشير وعلى سالم والتجاني سعيد اقناع الدكتور الشلالي بانهم يريدون مقابلة الدكتور احمد عبدالمجيد لبعض الاستشارات الطبية.

كانوا يرمون وراء ذلك الى ان يجدوا الفرصة مع الدكتور احمد عبد المجيد ليسالوه عن الوضع في الجامعة، او يتصلوا بواسطة تلفون

مكتبه بمكاتب اللجنة التنفيذية الجديدة، وما هي سياسة الاتحاد في المرحلة الراهنة.

وعدهم طبيب السجن بانه سوف ينظر في الامر. واستعدوا للخروج في صباح الثلاثاء، ولكن احدا لم يتصل بهم طيلة اليوم.

وفي يوم الاربعاء ٢٨ اكتوبر جاءهم (جاويش) السجن حوالى الساعة العاشرة صباحا وطلب من الاربعة ان يستعدوا للخروج لمقابلة الدكتور.

عند بوابة السجن كانت تقف عربة صالون بها جهاز لاسلكي وبداخلها ضابط سجن يحمل مسدسا وملفا به اسماء الطلاب المرضى، وركب معهم ثلاثة من رجال الشرطة يحملون المسدسات.

في المكاتب الخارجية لسجن كوبر وجدوا والدة عبد العزيز حمدي فسلموا عليها وطمانوها على سلامة ابنها.

ونزلوا في العيادة الخارجية لمستشفى الخرطوم، واحاط بهم الحراس وهم يحملون المسدسات المعدة للانطلاق. كان منظرا غريبا لفت نظر كل زائري المستشفى ذلك الصباح. اربعة من الشبان لايوحي ما ارتسم على وجوههم من ابتسامات بريئة ولا يشير اي شيء من مظهرهم باي صلة بينهم وبين الاجرام، ومع ذلك يحيط بهم هؤلاء الجنود المدججون بالسلاح. وفجاة لمح على سالم اثنين من اقربائه من طلاب جامعة الخرطوم هما : عمر عبد الله وحسن صالح، وناداهما ليسلم عليهما فمنعه الحراس من الوصول اليهم. فبداوا يتحادثون من بعيد. ومع ضوضاء المستشفى لم يستطيعوا ان يعرفوا شيئا اكثر من ان اللجنة الجديدة للاتحاد قد تكونت برئاسة ربيع حسن احمد.

وادخلوا الى حجرة الكشف. كان الدكتور (يونانيا) لم يتعرفوا عليه من قبل.

اقترب طالبا الجامعة من الباب ليتحدثا مع المعتقلين، فاقفل رجال البوليس الباب، فانتظروا قليلا ثم تحولوا الى الشباك واخذوا يتحدثون بالاشارة. رفع احدهم اصبعين من اصابع يده اليمنى واشار بيده اليسرى الى الارض.

ولم يفهموا هذه الاشارة. وبعد ان تداولوا الامر مليا توصلوا الى تفسير معقول يقول ان هناك مظاهرة ستسير في الساعة الثانية من ظهر ذلك اليوم.

ورجعوا الى السجن واخبروا زملاءهم بالاشارة وتفسيرها. وحاولوا ان يقلبوا الامر على كل احتمالاته، ولكنهم عادوا الى التفسير الاول وهو ان المظاهرة ستخرج في الساعة الثانية من ظهر ذلك اليوم. وفات عليهم تفسير اخر كان اقرب الى الحقيقة، وهو ان الندوة الثانية ستقام في مساء ذلك اليوم.

في مساء الاربعاء، وفي الساعة السادسة والنصف حينما كانت الجامعة تستعد لندوة التحدي اقام المعتقلون حفلا صغيرا بمناسبة مرور اسبوع على تقديم مذكرة الاتحاد الى الحكم العسكري.

وجهزت لجنة المطبخ الماكولات. كانت المائدة حافلة باطيب الماكولات والمشروبات : برتقال .. تفاح .. موز .. عصير برتقال .. عصير تفاح .. شاي باللبن .. بسكويت .. وحلويات (شيكولاته). وقد شارك في احضارها اتحاد الطلبة وعائلة عبد العزيز حمدي وخطيبة السائح. بعد صلاة المغرب جلس المحتفلون حول المائدة. كان برنامج الاحتفال يحتوي على اشياء خفيفة : اغان .. منلوجات .. فكاهات .. وخطب هزلية.

وعادت بهم الذكريات الى لحظات النضال ومواجهة الحكم العسكري، واستعرضوا تاريخ الاتحاد والمذكرات التي قدمت واللجان التي اعتقلت.

وبدا بعضهم يتساءل : هل سيقدمون للمحاكمة ام سيتركون هكذا الى مدة لايعلم مداها الا الله، ولا يحددها الا مزاج الحاكم العسكري ؟

واشترك جلال الدين الطيب وعلى سالم في تقديم بعض اغنيات الحقيبة وشارك الباقون كـ (كورس).

ووقف عبد العزيز حمدي خطيبا باسم لجنة المطبخ، ووجه خطابه الى زملائه : (يا اشباه المجارمة ولا مجارمة) متمثلا بخطبة سيدنا على (ياشباه الرجال ولا رجال ..)

وضج الباقون بالضحك ..

والقى حافظ الشيخ ابياتا من الشعر مستوحاة من وحي المناسبة، وبكى وهو يحس بفيض غريب يغمره.

وفي الساعة الثامنة والنصف عند نهاية الاحتفال، (في وقت بداية ندوة الجامعة وربما في وقت بدء الضرب)، احس حافظ بانقباض نفس شديد وشعر برغبة في البكاء، فلاحظ زملاؤة علامات التغير التي انتابته، وساله محمد نوري عما الم به، ولم يحر جوابا يفسر هذا الانقباض المفاجيء.

وبعد نهاية الحفل ذهب على سالم الى ركن قصي من (الحوش) وجلس وحيدا على الارض بالقرب من الباب الشمالي الذي يفصل بينهم وبين المساجين (المجرمين).

وهكذا .. انتهى الحفل وقد غمر الجميع جو غريب، اختلطت فيه الرغبة والتوقع، وانتظروا الصباح لعله ياتي بالخبر اليقين.

اللجنة الجديدة

في صباح الخميس ١٥ اكتوبر وعندما غادر اعضاء اللجنة التنفيذية الجامعة متوجهين لوزارة الداخلية ذهب عدد من الطلاب للوزارة ليتابعوا عن قرب ماسيحدث لزملائهم.

كان الطلاب موقنين بان زملاءهم لن يعودوا.

وفي الساعة الثانية اتجهت عربات البوليس الثلاث تحمل اعضاء اللجنة (العشرة) الى سجن كوبر، عاد الطلاب الذين راقبوا الموقف وابلغوا رئيس المجلس الاربعيني لاتحاد الطلاب - حسن عابدين - فقام بدوره بتوجيه الدعوة لاعضاء المجلس للاجتماع في الساعة السابعة من ذلك المساء لينقل اليهم خبر اعتقال اللجنة التنفيذية بصورة رسمية وبتطورات الموقف، ويدعوهم لاختيار لجنة جديدة تتولى الاعمال التنفيذية للاتحاد.

ان النظام الديموقراطي الذي يسير عليه اتحاد طلاب جامعة الخرطوم نظام مرن. فهو يبيح لكل قائمة ان تحتفظ بحق استبدال مندوبيها في المجلس او اللجنة التنفيذية بصورة تلقائية في حالة غياب الاعضاء المنتخبين لاي عذر او سبب بشرط ابلاغ رئيس المجلس بذلك قبل وقت الاجتماع.

كانت القوائم الممثلة في مجلس الاتحاد الذي يتكون من اربعين عضوا في دورة (٦٤-١٩٦٥، هي :

* قائمة الاتجاه الاسلامي (الاخوان المسلون) ولهم خمسة عشر مقعدا في المجلس واربعة اعضاء في اللجنة التنفيذية.

* قائمة الجبهة الديموقراطية (الشيوعيون) ولهم عشرة مقاعد في المجلس وثلاثة اعضاء في اللجنة التفيذية.

* قائمة المؤتمر الديموقراطي الاشتراكي ولها ستة اعضاء في المجلس وعضوان في اللجنة التنفيذية.
* قائمتا الجبهة الوطنية الاشتراكية والجبهة المتحدة ولكل منهما عضوان في المجلس ومقعد واحد في اللجنة التنفيذية.
* وقائمتا الاشتراكيين العرب والفكر الحر ولكل منهما مقعد واحد في المجلس وليس لهما مقاعد في اللجنة التنفيذية.

في اجتماع المجلس الذي لم يتعد نصف الساعة تم انتخاب اللجنة التنفيذية الجديدة، فنال الاتجاه االاسلامي اربعة مقاعد اختار لها : ربيع حسن احمد، انور الهادي عبد الرحمن، على محمد احمد جاويش، وحسن محمد على التوم، ونالت الجبهة الديموقراطية ثلاثة مقاعد اختارت لها : الشيخ رحمه الله، فتحي محمد الفضل، ومحمد على كاكوم، ونال المؤتمر الديموقراطي الاشتراكي مقعدين واختار لهما هاشم مصطفى التني وحمزة السيد على، واختار الطلاب الاحرار لمقعدهم عمر الصديق.

وقدم اول اقتراح في تلك الجلسة من عمر الصديق بان تكون هذه اللجنة لجنة ظل لا تعمل الا في غياب اللجنة المعتقلة، وينحل تكوينها تلقائيا اذا اصبحت اللجنة السابقة في حالة تمكنها من العمل.

ومر هذا الاقتراح دون مناقشة رغم انه اقتراح غير دستوري.

وطلب المجلس من اللجنة ان تستعجل تقديم توصياتها، وتمشيا مع هذا الروح المتعجل قررت اللجنة ان تجتمع في نفس اليوم لتوزيع المناصب. كان اجتماع توزيع المناصب قصيرا لم يحتو من الاجندة الا على ذلك البند.

في الاجتماع تقدم حسن محمد على بترشيح ربيع حسن احمد للرئاسة وثناه احد اعضاء الاتجاه الاسلامي.

ومرت فترة صمت طويلة في انتظار ترشيح اخر. وكاد ان يعلن ربيع فائزا بالتزكية، وفي اللحظات الاخيرة رشح الشيخ رحمه لله (جبهة ديمقراطية) نفسه وثناه احد اعضاء معسكره.

ثم رشح عمر الصديق نفسه. كان عمر الصديق العضو الوحيد الذي يمثل قائمته في اللجنة التنفيذية. قال له احدهم انت وحيد ولن تجد من يثنيك.

وضج الاجتماع بالضحك.

وكاد اسمه ان (يشطب) لولا ان ثنى ترشيحه هاشم التنى (مؤتمر ديمقراطي الاشتراكي).

وجرى التصويت، فنال ربيع حسن احمد رئاسة الاتحاد اذ صوت له بجانب اعضاء الاتجاه الاسلامي الاربعة حمزة السيد على (مؤتمر ديموقراطي اشتراكي).

وانتهى الاجتماع بعد ان قرروا ان يكون لقاؤهمّ الثاني في الساعة السادسة من مساء اليوم التالي الجمعة ١٦ اكتوبر، على ان يتقدم كل معسكر بتوصياته.

ومع مغيب شمس الخميس وقبل اجتماع المجلس السابق كانت حيطان دار الاتحاد مزدحمة بالصحف الحائطية والبيانات والشعارات، وكل صحيفة او نشرة تبسط راي معسكرها وتحدد الخطوات التي ترى أنه ينبغي أن يخطوها الاتحاد، وكانت هناك ثلاثة أراء متباينة.

اما بيان المؤتمر الديموقراطي الاشتراكي فقد حلل الموقف الراهن بعد اعتقال اللجنة االتنفيذية، ورفض كل الاقتراحات التي كانت رائجة في الوسط الجامعي- واهمها فكرتا الاضراب والمظاهرة - باعتبار انها كلها - قد فشلت بالتجربة العملية من قبل، وقال ان مهمة الاتحاد هي توعية الشعب.

وعلى النقيض تماما كان يقف الاتجاه الاسلامي الذي نادى باستمرار الندوات، وبخروج الطلاب في مظاهرة صاخبة ضد الحكم العسكري.

ووقفت الجبهة الديمقراطية الموقف الوسط وطالبت بالاتصال بالمعاهد العليا والجامعات، وتنسيق خطوات الكفاح معها، ورأوا ان لاتخطو الجامعة خطوة منعزلة بدون الجامعات والمعاهد العليا الاخرى، ولم يقترحوا اي خطوة محددة.

واتفقت كل الصحف والبيانات على ابعاد فكرة الاضراب عن الدراسة، لان الاضراب يعني قفل ابواب الجامعة، وقفل الجامعة - في ذلك الوقت الحرج - يعني الهروب من ميدان المعركة، وترك المعتقلين العشرة ضحايا ابرياء في يد الحكم العسكري.

اربعة محاولات لاجهاض الندوة

رغم ان الاتجاه الاسلامي كان قد رفع راية استمرار الندوات بصفة مبدئية في البيان الذي اصدره مساء الخميس الا ان المكتب السياسي للاخوان في الجامعة بدا يعيد النظر في تلك الليلة في ذلك القرار، وبعد اجتماع مضطرب خرج بتوصية قرر ان يرفعها للمكتب التنفيذي : كان راي التوصية الا يتبنى الاتجاه الاسلامي اي خطوات صدامية مع الوضع العسكري لانه ليس في مقدرة الطلبة ان يثبتوا في اي صدام جديد اذ وضع في الاعتبار الخسائر التي اصابت الطلاب في اضراب استقلال الجامعة الشهير في ٥ ديسمبر عام ١٩٦٣، وان تلك الخسائر كانت دائما تبدو امام الطلاب وكانها خسائر بلا مقابل اذ لم يتجاوب معها الشعب، ولم يستجب لها العساكر، ولم تغير او تبدل في اي وضع من الاوضاع . ثم ان المدير كان قد قطع عهدا امام اللجنة التنفيذية بالمحافظة على استقلال الجامعة، فمن الضروري ان يعطى الفرصة الكاملة ليرى مقدار ثباته على عهده، ثم حذر المكتب السياسي من ان يتفاقم الوضع فتضطر الحكومة لاقالة المدير وتعيين احد كبار الضباط مديرا للجامعة.

كانت هذه هي العقبة الاولى التي اعترضت قيام الندوة. وعقد المكتب التنفيذي للاتجاه الاسلامي اجتماعا مطولا في صباح الجمعة.

كانت اجندة الاجتماع هي عبارة عن موضوع واحد: ماهي الخطوات المناسبة التي يمكن ان يتبناها الاتجاه الاسلامي ؟ وتمكن انور الهادي من قيادة الاتجاه الذي يرى ضرورة قيام الندوة وعدد لذلك الاسباب والفوائد :

* فقيام الندوة هو الكرت الاخير الذي يمكن ان يختبر به الطلاب مدى التزام االمدير بوعده بحماية استقلال الجامعة.

* وان للاتجاه الاسلامي في الجامعة خطا معروفا لكل الطلاب واظهر مافيه هو المعارضة الصارخة للحكم العسكري وهذا الذي مكنهم من ان تقفز مقاعدهم في مجلس الاتحاد من تسعة مقاعد عام ١٩٦٠ الى خمس عشر مقعدا عام ١٩٦٤، هذا الخط الذي تميز به الاسلاميون بين الطلاب ولن يكون من السهل ان يحيدوا عنه مهما تذرعوا بالاسباب.

* وان الحكومة كانت قد اصدرت عدة تصريحات متعهدة امام الراي العام بانها لايمكن ان تتعدى على الحرم الجامعي، فيجب على الطلاب كشف هذا الادعاء امام الراي العام بصورة عملية.

* وان هذه الحكومة كانت قد سمحت للمواطنين بمناقشة مشكلة الجنوب، لا على الصعيد الرسمي وحسب وانما على الصعيد الشعبي كذلك، والجامعة التي تمثل القيادة الشعبية قد حرمت من حق هذا النقاش بقرار سري لم يكشف للشعب، وهذا النوع من النفاق يجب ان يعرى امام المواطنين.

* وفي مدى ست سنوات من عمر الحكم العسكري ارتفعت في اوساط المقاومة الشعبية عدة شعارات : منها شعار الاضراب السياسي، ومنها المظاهرات المسلحة، وان كل شعار من هذه الشعارات يحتاج الى الظروف المناسبة لتخلق عند المواطنين القدرة على تنفيذه، واي حركة في الجامعة سيكون لها رد الفعل المناسب عند الشعب، وبالتالي اذا اصطدم الطلاب بالبوليس فسيكون لذلك اثر قوي في اوساط الشعب.

وشيئا فشيئا بدات اسهم الندوة ترتفع بعد نقاش حاد حتى صدر القرار بان يتبنى الاتجاه الاسلامي فكرة استمرار الندوات. بذلك تكون الندوة قد تخطت مرحلة الخطورة الاولى.

* * *

في اجتماع اللجنة التنفيذية مساء الجمعة ١٦ اكتوبر كان اول بند مدرج للنقاش هو فكرة الخروج في مظاهرة.

لم يقتنع المؤتمر الديموقراطي الاشتراكي بفكرة المظاهرة تماشيا مع رايه الذي اعلنه في بيانه، كان رايه ان يجمد الاتحاد كل الخطوات الصدامية ويبدا في توعية الشعب.

كان من الممكن ان يخرج القرار باغلبية ثمانية اصوات ضد صوتين. ولكن تماشيا مع فكرة ان اي عمل ضد الحكم العسكري يجب ان يشترك فيه الطلاب باجماعهم، فقد رفعت الجلسة لفترة قصيرة وبذل ممثلو القوائم مجهودا كبيرا لاقناع عضوي المؤتمر، وبعد لاي وجهد خرج قرار المظاهرة بالاجماع . واوصى الاجتماع بضرورة سرية هذا القرار وعدم كشفه لاي انسان خارج اللجنة التنفيذية بما في ذلك اعضاء المعسكرات الممثلة في اللجنة. ولم تحدد اللجنة توقيت المظاهرة، واتفقوا على ان تحدد في اخر لحظة، ذلك لان عضوي المؤتمر الديموقراطي الاشتراكي ذكرا ان هنالك عشرة طلاب اسماؤهم مدرجة في وزارة الداخلية ويعملون لحساب البوليس السري، وانهم ينقلون اخبار الجامعة في حينها.

واتخذت اللجنة توصية اخرى تقضي بالاتصال بالكلية (الجامعة) الاسلامية وجامعة القاهرة الفرع والمعهد الفني، على الا يؤثر تعاونهم او عدم تعاونهم في قرار الخروج في المظاهرة.

وانفض الاجتماع على هذا الاساس بعد ان انتدب ثلاثة من اعضاء اللجنة التنفيذية للاتصال بالمعاهد العليا الثلاثة، وترك يوم السبت للاتصال على ان تجتمع اللجنة في مساء الاحد ١٨ اكتوبر.

اختيرحسن محمد على التوم لمقابلة طلبة (الكلية) الاسلامية.

لم يقم في (الكلية) الاسلامية اتحاد طلاب دائم طوال عمرها وحتى تلك اللحظات الحرجة من ايام اكتوبر، وكان على مندوب اتحاد طلاب جامعة الخرطوم ان يتلمس اراء كل الاتجاهات.

لم يكن هناك غير اتجاه واحد منظم هو الاتجاه الاسلامي، اما باقي الطلاب فيمكن ان يندرجوا تحت الاسم الواسع الفضفاض (المستقلون). ولم يستغرق مندوب جامعة الخرطوم وقتا طويلا لاقناع قادة الاتجاه الاسلامي والبارزين من الطلاب بفكرة مؤازرة طلاب جامعة الخرطوم في مظاهرتهم ضد الحكم العسكري.

واختير عمر الصديق لمقابلة اللجنة التنفيذية لاتحاد طلاب المعهد الفني، وبعد ان شرح لهم الموضوع لم يكن ردهم الا انهم سيجمعون الجمعية العمومية ويعرضون عليها الموضوع لتتخذ فيه قرارا.

وكانت نتيجة الاتصالات انه لايوجد هناك وعد قاطع بالاشتراك في المظاهرة من اي هيئة (منظمة) خارج حدود جامعة الخرطوم.

وانعقد اجتماع الاحد وكانت (اجندته) مزدحمة بمواضيع عديدة مطروحة للنقاش.

في بداية الجلسة قررت اللجنة ارسال فواكه وسجاير ومصاحف لاعضاء اللجنة المعتقلين.

وكان قد ترامى الى اسماع اللجنة ان الطلاب المعتقلين سيقدمون لمحكمة عسكرية، وقبل ساعات من هذا الاجتماع كان الاستاذ عثمان خالد مضوي المحامي قد اتصل برئيس الاتحاد - ربيع حسن احمد - وحدثه عن تلك الاشاعات وقدم استعداده للدفاع عن اللجنة المعتقلة، وطلب منه ان ينقل هذا الموضوع للجنة التنفيذية للاتحاد لينال موافقتها. ثم اتصل بوزارة الداخلية لمعرفة سير الامور بالنسبة للطلبة المعتقلين، فرفض البوليس ان يدلي بمعلومات عن المعتقلين، ورفض اي تدخل بالنسبة لاي ضمان لاطلاق سرحهم.

اتخذت اللجنة ثلاثة قرارات بهذا الخصوص :

* اولا كلفت ربيع حسن احمد رئيس الاتحاد والشيخ رحمه الله السكرتير العام بالاتصال بنقابة المحامين وعرض مذكرة الاتحاد التي

رفعتها اللجنة السابقة للحكم العسكري على النقابة لدراستها ومعرفة رايهم فيها.

* ثم قبول مساعي الاستاذ عثمان خالد المحامي واي مساع اخرى في هذا الخصوص.

* ارسال الوجبات الغذائية للطلاب المعتقلين.

وفي هذا الاجتماع واجهت اللجنة مشكلة عدد من الجمعيات التابعة لاتحاد الطلاب تقدمت بطلبات للسماح لها بمناقشة مشكلة الجنوب في ندوات عامة.

وبعد دراسة الموضوع رات اللجنة ان هذه الندوات تمثل الخطوات الايجابية المرجوة فقررت ان تتحمل مسئوليتها وحدها بحيث لاتقع مسوليتها على جمعية بعينها وانما تقع على الاتحاد باجمعه.

وكلفت اللجنة رئيس الاتحاد بان يكتب خطابا يؤكد فيه مساعي اللجنة لعمل خطوة حاسمة وان يقرا ذلك الخطاب في اجتماع عام.

ولذلك الخطاب قصة.

فقد اتخذت اللجنة قرارها السابق بالمظاهرة، ورات ان يكون ذلك القرار سريا لا يتعدى تداوله اعضاء اللجنة العشرة.

وكثرت في اوسط الجامعة الشائعات والتكهنات حول القرار السري (الخطير).

والواقع ان ظروف الاحداث قد ساعدت في خلق جو من الرهبة والتعظيم لذلك القرار، القرار الذي سيرد كرامة الطلاب.

ولكن تقدير الطلاب لم يكن صائبا، فقد مضى يوم الخميس والجمعة والسبت، ولم يظهر اي اثر للقرار السري (الخطير).

وبدات التساؤلات في همس، ثم صارت حديثا مسموعا، ثم انقلبت صراخا، واخذت بيانات الطلاب الفردية تنهال على لوحة الاعلانات، وفي النادي وفي (قهوة النشاط).

واخذ الطلاب يهاجمون اللجنة التنفيذية بعنف ويصفونها بانها تتهرب من مسؤليتها وانها تخاف المصير الذي الت اليه اللجنة السابقة.

وفي هذا الجو الملغم كلفت اللجنة رئيسها بكتابة الخطاب، وقررت ان يقرأه رئيس الاتحاد في التجمع الرئيسي للطلاب في مباني الجامعة الرئيسية، وان ياخذ عمر الصديق نسخة ليقراها على الطلاب في داخلية الطب، وهاشم مصطفى التنى ياخذ النسخة الثالثة الى كليتي الزراعة والبيطرة في شمبات.

وفي صباح الاثنين، في الساعة التاسعة، تجمع الطلاب بين داخليتي النيل الابيض والنيل الازرق، وقرا رئيس الاتحاد الخطاب، ولم يعلن الرئيس عن اي خطوة صدامية بعد الخطاب : لا اضراب، ولا مظاهرة، ولا حتى ندوة التحدي التى وعدت بها اللجنة السابقة. والخطاب نفسه لم يكن معبرا عن طبيعة الظروف المتوترة، ولم يستلهم روح الاحداث الثائرة.

وكان لابد ان يقارن الطلاب بين هذا الخطاب وبين الخطاب الصاخب الذي القاه حافظ الشيخ رئيس الاتحاد السابق من نفس المنصة قبل خمسة ايام.

الخطاب الذي كان في نفسه مظاهرة عاتية، وما تبعه من احداث. وانتهى الخطاب ولم يتحرك الطلاب بل وقفوا في وجوم وصمت في جو ملبد بالغيوم.

لقد ترك الخطاب شيئا من الهبوط في نفوس الطلاب، وبدا موضوع القرار السري يفقد معناه.

وحمل عمر االصديق الخطاب الى داخلية الطب مفوضا بقراءته من قبل االلجنة التفيذية.

وواجهته روح الثورة التى كانت تعصف بصدور الطلاب، فتراجع ولم يقو على القاء الخطاب، وترك واجبه الذي كلفته به اللجنة التنفيذية،

وطوى الخطاب، وراح في حديث طويل يشن هجوما عنيفا على اللجنة التنفيذية.

وحدثت ضجة عنيفة واحتد الجو، وقوطع حديثه واعقب ذلك نقاش حاد، ونقل الخبر بعد نصف ساعة الى بعض اعضاء اللجنة التنفيذية فرفعوا شكوى ضد عمر الصديق الى اللجنة التنفيذية.

في جلسة اللجنة التنفيذية التى انعقدت مساء الاثنين كانت اجندة الجلسة تحتوى على ثلاثة مواضيع :

* شكوى مقدمة ضد عمر الصديق.
* اقتراح باقامة ندوة يوم عشرين اكتوبر.
* الخطوات التى تمت في موضوع المظاهرة.

قدم حسن محمد على، وهو من المعسكر الذي تقدم بالشكوى، اقتراحا بتاجيل النظر في الشكوى بحجة ان احداث الساعة اكبر من ان تعطلها الخلافات الداخلية. ونال هذا الاقتراح الموافقة شبه الاجماعية، ولم يشذ في معارضته الا العضو الذي قدمت ضده الشكوى : عمر الصديق، الذي اصر على ضرورة ان تناقش تلك القضية.

ثم انتقل النقاش الى البند الثاني من الاجندة : موضوع الندوة الذي كان في شكل اقتراح تقدم به عمر الصديق مندوب الطلاب الاحرار.

كان الخلاف حول الندوة واسعا بين الاخوان والطلاب الاحرار من جانب والجبهة الديمقراطية والمؤتمر الديموقراطي الاشتراكي من جانب اخر لدرجة تعذر معها الوصول الى اي اتفاق.

كان راي الطلاب الاحرار ان يقيم الطلاب ندوة التحدي باعتبار انها موضوع الساعة الملح، وان تقوم تلك الندوة قبل اي خطوة اخرى، وساقوا لذلك عدة مبررات :

* فالخروج في المظاهرة قبل الندوة قد يعرقل قيام المظاهرة والندوة معا ذلك لان الاتحاد قد ارتبط بمشاورات وصلات خارجية، وان هذه

الصلات خاصة بموضوع المظاهرة قد تؤدي الى تعطيلها، وان ظروف اتحاد الجامعة الداخلية لا تسمح باي تاجيل لان الفترة الدراسية الاولى لم يبق منها الا ايام معدودات.

* ان المظاهرة قد تكون سببا قويا يدفع المدير لتعطيل الدراسة وقفل الجامعة مما سيعطل الندوة.

* ان اهمال الندوة لاي سبب من الاسباب سيقر سياسة الامر الواقع التى فرضتها وزارة الداخلية والقائمة بمنع الندوات.

* قيام الندوة هو الكرت الاخير الذي يمكن ان يختبر به الطلاب مدى التزام المدير بوعده بحماية استقلال الجامعة ومنع تدخل البوليس.

اما الجبهة الديمقراطية والمؤتمر الديموقراطي الاشتراكي فقد عارضا قيام الندوة على اسس اخرى، وايدا الخروج في المظاهرة :

* اولا لان الاتحاد ام يكون رايا بعد في مشكلة الجنوب وبالتالي فليس هناك راي (جاهز) للاتحاد يمكن ان يقال للطلاب في الندوة .

* وان الندوة قد تؤدي الى تعطيل الدراسة وقفل الجامعة وبالتالي لن يتمكن الطلاب من الخروج في المظاهرة التي اقرها الاتحاد من قبل.

* ان اهمية المظاهرة تفوق اهمية الندوة لان المظاهرة تربط الطلاب بجماهير الشارع بينما الندوة عمل داخلي معزول.

* وان مجلس الاتحاد سبق ان كون لجنة لتبحث مشكلة الجنوب وتحدد رايا بشانها، وان اي موضوع يبدا المجلس في بحثه لا يجب ان ينظر فيه اي جهاز اخر من اجهزة الاتحاد.

كانت الجلسة عنيفة حادة، وانفضت اخيرا بتبادل الاساءات والشتائم بين الاخوان والشيوعيين بعد التصافي والود الذي ساد الجلسات الثلاث الاولى.

واوقف امر بحث الندوة بسبب اعتراض دستوري يقضي بان اي عمل بين يدي المجلس يجب ان لا تنظر فيه اللجنة مالم يحدد المجلس رايا فيه، وان مجلس الاتحاد ما زال يبحث في امر تحديد راي موحد حول مشكلة الجنوب، وبالتالي فليس من حق اللجنة ان تبحث اي موضوع يتعلق بمشكلة الجنوب حتى يبت المجلس براي في المشكلة برمتها.

وهكذا اسقطت الندوة في اللجنة، وكانت هذه هي العقبة الثانية.

خرج اعضاء الاتجاه الاسلامي من اجتماع اللجنة التنفيذية وكانوا في حالة يرثى لها.

لقد تحطم املهم الاخير في اقامة ندوة التحدي التي وعدت بها اللجنة التنفيذية السابقة على لسان رئيسها حافظ الشيخ عقب انفضاض ندوة ١٠ اكتوبر.

كانت جماعة الفكر الاسلامي - ذات الصلة الوثيقة بالاتجاه الاسلامي بالجامعة - قد اتصلت بلجنة الاتحاد وطلبت الاذن باقامة ندوة عن مشكلة الجنوب، ورغم ان سكرتارية الاتحاد رفضت هذا الطلب الا ان ذلك الرفض لم يكن في نظرهم يشكل الحاجز الاخير، لذلك فقد استمروا في ابلاغ المشتركين في الندوة فاتصلوا بالاساتذة : محمد احمد محجوب (المحامي) والسيد الصادق المهدي والدكتور حسن الترابي.

كان في تقدير جماعة الفكر الاسلامي ان اعضاء الاتجاه الاسلامي سيتمكنون من اقناع اللجنة باقامة الندوة يسندهم في ذلك الضغط الطلابي المستمر لافتعال اي حركة ترد التحدي لتدخل البوليس في الحرم الجامعي وفض ندوة ١٠ اكتوبر.

خرج الاعضاء الاربعة تعصف بهم الانواء وتتجاذبهم الافكار العاصفة، وقابلوا مجذوب سالم البر المسئول العام عن الاخوان المسلمين في الجامعة ونقلوا اليه تفاصيل الموقف. ودعا مسئول

الاخوان الى اجتماع سريع لمكتبه التنفيذي، وكان اول ما وضح للمكتب هو ان عمل اي ندوة في مساء الثلاثاء ٢٠ اكتوبر امر مستحيل، ولذلك فلقد اتجه التفكير اتجاها اخر.

وبعد مداولات ونقاش مستفيض وتقييم للموقف بصفة مفصلة خرج المكتب بالقرار الاتي : خروجا على الاشكال الدستوري سيقوم انور الهادي – باعتباره نائبا للرئيس للشئون الثقافية – باخطار اللجنة، مجرد اخطار، بان مكتبه سينظم ندوة عن الجنوب في مساء الاربعاء ٢١ اكتوبر.

في يوم الاثنين انطلقت اشاعة قوية بان البوليس يبحث عن رئيس الاتحاد لوضعه في الاعتقال التحفظي. والواقع انها لم تكن مجرد اشاعة .. فقد اتصل نائب المشرف على شؤون الطلاب السيد على مصطفي في مساء الاثنين بدار الاتحاد هاتفيا. لم يكن ربيع موجودا انذاك فطلب نائب المشرف من الفراش المسئول ان يبلغ رئيس الاتحاد ان البوليس يبحث عنه، فعليه الا يخرج من حدود الداخليات.

وفي صباح الثلاثاء خرجت البيانات الملتهبة في (قهوة النشاط) تحكي قصة الحدة التي جابهت بها المعسكرات بعضها بعضا داخل اللجنة التنفيذية. كان كل بيان يعضد رايه بالادلة والبراهين ويرد على الاخرين بالحمم الغاضبة.

وانعقد اجتماع اللجنة التنفيذية في صباح الثلاثاء، ويبدو ان الغرض من الاجتماع كان مبهما من ناحية وواضحا من ناحية اخرى.

كان مبهما بالنسبة للجبهة الديموقراطية والمؤتمر الديموقراطي الاشتراكي والطلاب الاحرار اذ لم يكن قد جد جديد في الموقف الداخلي في خلال العشر ساعات التي اعقبت الاجتماع الذي انتهى في منتصف الليلة السابقة.

وكان الغرض من الاجتماع واضحا بالنسبة لاعضاء الاتجاه الاسلامي الذي قرر ان يكون اكثر تفاهما والا يلجا للعنف او الغضب، والا يرضخ لدواعي الاستفزاز، وكان يحمل معه خدعة سياسية ذكية كان لها الفضل الاكبر في قيام الندوة.

في بداية الجلسة وقبل الدخول في الاجندة المعروضة اعلم انور الهادي اللجنة بان مكتبه - مكتب الشئون الثقافية - سيقدم ندوة عن مشكلة الجنوب في مساء اليوم التالي الاربعاء ٢١ اكتوبر.

ورفع احد المعارضين يده وقال : ان هذا الذي قدمه العضو ليس اخطارا عاديا وانما هو اقتراح يجب ان يطرح للنقاش، وللجنة - بعد ذلك - ان ترفضه او تقبله.

وقال اخر : ان هذا اقتراح جديد لم نشاور فيه معسكراتنا.

وعقب ثالث : نعم، يجب ان نعطي الفرصة الكاملة لمناقشة الموضوع .

وفعلا رفعت الجلسة ثم عقدت مرة اخرى، وبعد نقاش صغير اجرى التصويت فوقف اعضاء الاتجاه الاربعة يعضدهم عضو الطلاب الاحرار مؤيدين قيام الندوة، ووقف في معارضتها اعضاء الجبهة الديموقراطية الثلاثة يؤيدهم عضوا المؤتمر الديموقراطي الاشتراكي.

واعيد التصويت، وكانت النتجة ايضا خمسة مع الاقتراح وخمسة يرفضونه، وكان من المفروض ان يعد الاقتراح مرفوضا والا يعاد فيه النظر في تلك الجلسة، وكان دستور الاتحاد ولوائحة الداخلية واضحة في تحديد هذه النقاط : فهي تقول انه اذا تعادل التصويت علىالاقتراح مرتين في المجلس الاربعيني فانه ينزل للجمعية العمومية للطلاب لتبت فيه، اما في داخل اللجنة التنفيذية اذا تعادل التصويت على الاقتراح مرتين فانه (يسقط) تلقائيا ولا يعاد فيه النظر في تلك الجلسة.

وكانت هذه النقطة الاخيرة هي المرتكز الذي بنى عليه الاتجاه الاسلامي خدعته، اذ استدرك احد اعضائه سقوط القرار مقترحا بان ينزل هذا الاقتراح للجمعية العمومية للطلاب لتفصل فيه، واجريت اتصالات شخصية مع عضوي المؤتمر الديموقراطي ليساندا هذا الاقتراح الجديد بانزال الموضوع كله للجمعية العمومية لا بصفته اقتراح من اللجنة التنفيذية وانما باعتبار انه احتكام بين جانبين فقط.

وتقدم احد اعضاء الجبهة الديموقراطية باقتراح عاجل بالخروج في مظاهرة، وان يكون توقيت المظاهرة قبل الندوة.

وكان من نتيجة ذلك ان قدم للجمعية العمومية للطلاب سؤالان :

* هل ترى ان يقيم الطلاب ندوة لمناقشة مشكلة الجنوب، ام يسال هذا السؤال بالنسبة للمظاهرة لان المظاهرة كانت قد نالت موافقة اللجنة باجماعها كما ذكرنا ؟

* وهل تكون الندوة قبل المظاهرة ام بعدها ؟ ويكون هذا السؤال الثاني غير وارد اذا ظهر ان اغلبية الطلاب لا يرون قيام الندوة اذ لا محل لتقديمها او تاخيرها على المظاهرة.

وهكذا عادت اللجنة التي رفضت مناقشة اقامة ندوة عن الجنوب بسبب اعتراض دستوري، عادت بعد عشر ساعات وناقشت موضوع الندوة وقبلت بانزال التوصية للجمعية العمومية لتبت فيها.

وهكذا مرت العقبة الثالثة، وتقدمت الندوة خطوة اخرى.

* * *

كانت اجتماعات الجمعية العمومية تمثل العقبة الاخيرة امام قيام الندوة. انعقدت اجتماعات الطلاب في منتصف الساعة الثالثة في يوم الثلاثاء ٢٠ اكتوبر.

في ذلك النهار تقسم الطلاب على مراكز الجامعة العشرة، اربعة مراكز في داخليات الجيش (البركس) هي كسلا، القاش، الدندر، وبحر

الجبل، واربعة مراكز في مباني الجامعة الرئيسية، وهي النيل الابيض، بحر العرب، بحر الغزال وداخليات الطالبات، بالاضافة الى مركزي الطب وشمبات.

ودار النقاش حادا في الاجتماعات يتخلله التصفيق احيانا والتصفير احيانا اخرى.

وقاد الاتجاه الاسلامي والطلاب الاحرار الجناح المؤيد لقيام الندوة، وحاول متحدثوهم ان يعززوا موقفهم بضرب الامثال بمواقف الطلاب في الدول الاخرى.

* طلاب فيتنام الجنوبية الذين اجبروا الرئيس خان رئيس الجمهورية على الاجتماع بزعمائهم ليناقش مطالبهم الخاصة باجراء اصلاحات في الحكومة والدستور الوطني الجديد. ووافقهم الرئيس على ان هناك مايبرر بعض شكاويهم، وقال انه سيحاول تعديل الدستور المؤقت للسماح بضمان حرية المواطنين التي كانت على راس مطالب الطلاب. ولم يكتف الطلاب بذلك، فقد اقتحم عدة مئات منهم دار اذاعة سايجون وحطموا جهاز الارسال الاذاعي فقط لان الاذاعة ذكرت خبرا كاذبا يقول ان الطلاب كانوا راضين عن نتائج المناقشات التي دارت بين مندوبيهم والرئيس خان. هذه الاحداث وقعت بالتحديد قبل شهر واحد من ثورة اكتوبر.

* وطلاب اليابان الذين ملاوا الشوارع في مظاهرات صاخبة حتى منعوا المستر نكسون نائب الرئيس الامريكي من زيارة اليابان بعد ان غادر امريكا، وكان من المقرر ان ترافق رحلته زيارة تقوم بها بعض قطع الاسطول الامريكي للموانىء اليابانية.

* وطلاب تركيا الذين عارضوا حكومة عدنان مندريس مما هيا الظروف المناسبة لانقلاب جمال جورسيل الذي خلص البلاد منها الى الابد.

وكان على راس الجانب المعارض للندوة الجبهة الديموقراطية والمؤتمر الديموقراطي الاشتراكي، وكان نقاشهم يدور في فلك محوره اربع نقاط رئيسية :

* ان الندوة اجهاض لنضال الطلاب ذلك لانها ستحول المعركة من معركة موسعة ضد الحكم العسكري الى صدام طلابي مع بعض افراد البوليس.

* وانها تحرش بالبوليس لا يجب ان ينزلق اليه الطلاب ذلك لان واجب البوليس حفظ النظام سواء كان في الجامعة او خارجها.

* وان الندوة فضلا عن ذلك خطوة معزولة تتم احداثها بعيدا عن مشاركة الشعب .

* واصروا على ان لايتخذ الطلاب اي خطوة حتى تتم تعبئة القوى الخارجية من عمال ومزارعين ومثقفين وطنيين .

كانت حرارة النقاش قد ارتفعت في النهاية حتى اذا جاء موعد التصويت كان الصخب قد ارتفع الى قمته، وساد اثناء التصويت بعض الهرج والاضطراب والمشاحنات، وحدث بعض الخلط في نتائج التصويت في مركزي النيل الابيض وكسلا.

كان المشرف على ادارة دفة النقاش في مركز النيل الازرق هو الشيخ رحمة الله سكرتير الاتحاد ومندوب الجبهة الديموقراطية في اللجنة التنفيذية.

في بداية الجلسة وجه الشيخ الطلاب الى انه يمكنهم ان لا يصوتوا لاي من الاقتراحين، ويمكنهم ان يقدموا اقتراحا ثالثا.

اعترض مجذوب سالم البر على هذه الاضافة التي ادخلها مدير الجلسة باعتبار انها لم تكن اصلا مدرجة في صلب الاقتراح، وان الطلاب ملزمون بالتصويت لاحد الاقتراحين او الامتناع عن االتصويت .. وليس من حقهم ان يضيفوا شيئا جديدا.

وارتفعت حرارة النقاش حول هذا البند حتى حسمها االشيخ بان طرد مجذوب سالم البر من الاجتماع.

اما في مركز كسلا فقد كان مدير الجلسة هو حمزة السيد على، فقد حدثت ربكة مفاجئة في اثناء عد الاصوات، مما اضطر اللجنة التنفيذية لان تحذف اصوات مركزي النيل الابيض وكسلا.

كان اقتراح تقديم الندوة على المظاهرة هو الاقتراح الفائز حيث نال مائة صوت اكثر من الاقتراح المضاد، ولما حذفت اصوات مركزي النيل الازرق وكسلا كان اقتراح الندوة هو الفائز حيث نال مائة صوت اكثر من لاقتراح الاخر.

وبهذا تكون الندوة قد تعدت مرحلة الخطورة الرابعة والاخيرة.

ندوة اكتوبر

في صباح الاربعاء الباكر اصدرت الجبهة الديمقراطية بيانها الشهير الذي وصفت فيه الندوة بانها (اجهاض لنضال الطلاب .. وانها خطوة معزولة عن الشارع السوداني، وانها تحرش بالبوليس).

ولم يصدر اي معسكر اخر بيانا بالتاييد او المعارضة. وارسل على مصطفى مساعد المشرف على شئون الطلاب رسولا الى لجنة الاتحاد يطلب مقابلة احد اعضائها. فلما ذهب اليه العضو اخبره بان مدير الجامعة غير موافق على اقامة الندوة وانه سيقفل دار الاتحاد. وبالفعل تم قفل النادي وسحب منه النور وملء ميدانه بالماء، ولم تكتف الادارة بذلك بل غمرت كل الميادين التي تقع بين الداخليات بالماء، ورفضت ان تسمح باستعمال (مايكروفون) الجامعة او دفع قيمة ايجار (مايكروفون) من السوق.

في نهار الاربعاء الغى انور الهادي، خامسة هندسة، كل المحاضرات وركز كل جهوده في الترتيب والاعداد للندوة وانجاحها. فطاف على زعماء المعسكرات السياسية في الجامعة وطلب من كل معسكر ان ينتدب احد اعضائه ليتحدث باسمهم في تلك الندوة، ثم اتصل بحسن عابدين ليتحدث عن المؤتمر الديموقراطي الاشتراكي باعتبار انه رئيس الحزب. اعتذر حسن عابدين، وبعد نقاش طويل تمكن انور الهادي من اقناعه بان الموضوع ليس موضوع تحضير بحث اكاديمي عن الجنوب انما هو موضوع صراع سياسي، وان فرصة الحديث قد لا تتاح له اذا تدخل البوليس في وقت مبكر، اما اذا جاءت فرصته في الحديث فيمكنه ان يقول اي شيء لان الموضوع ليس موضوع تبادل الاراء عن مشكلة الجنوب بقدر ماهو رد لتحدى البوليس بتدخله في الندوة السابقة.

ثم اتصل انور الهادي بقادة الاتجاه الاسلامي وعرف ان مجذوب سالم البر سيمثلهم باعتباره المسئول العام عن الاخوان المسلمين في الجامعة، ثم اكمل اتصالاته فعلم ان بابكر الحاج سيمثل الجبهة الديقراطية، ومقبول الحاج محمد سيتحدث عن الاشتراكيين العرب، وادم محمد ادم عن الجبهة الوطنية الاشتراكية.

في الساعة العاشرة مرت بشارع الجامعة اثنتان وثلاثون عربة محملة برجال البوليس، وكانت تقصد من ذلك استعراض العضلات واشاعة جو من الارهاب. فعسكرت لفترة قصيرة امام مبنى بوليس السفارات، غرب داخليات (البركس)، ثم واصلت طريقها بشارع النيل راجعة الى وزارة الداخلية.

واتسع نطاق الهمس حول الاستعدادات الضخمة التي يجريها البوليس ليواجه بها الطلاب، وتفرعت الاشاعات، وباض الحديث وافرخ عن رجال الجيش الذين وضعوا مع احتياطي البوليس، ورجال البوليس الذين احضروا من النقاط التي حول الخرطوم على جناح السرعة.

ولم يكن احد يدقق في صحة هذه الاخبار التي كانت تنتقل همسا من طالب الى طالب. ولم يكن امام الطلاب، وهم في تلك الحالة النفسية والحماس الدافق، الا ان يعتبروها حقائق، والغريب انها لم تفل من عزمهم ولم ترهبهم، بل زادتهم حماسا ورغبة في الصدام (الذي كانوا يرونه بعيدا).

ومع مغيب الشمس بدا الطلاب يتجمعون في (البركس)، ويجمعون قطع الطوب والحجارة والزجاج و(السيخ) والعصي الغليظة، وقطعوا فروع الاشجار، وجمعوا كل ذلك في ميدان الندوة شمال داخلية عطبرة (ب).

لم يكن هذا المكان الذي حدد لاقامة الندوة خلف داخلية عطبرة هو المكان المعتاد للندوات، ولم تقم فيه اي ندوة من قبل، ولكن الذي حدث في ذلك النهار ان ادارة الجامعة بعد ان اقفلت ابواب دار الاتحاد وسحبت منه النور غمرت فنائه بالماء، وغمرت كل الميادين الواقعة بين الداخليات حتى يتعذر قيام الندوة من ناحية عملية. لذلك لم يجد الطلاب بدا من ان يقيموا ندوتهم في ذلك الميدان الوعر خلف داخلية عطبرة.

لم يكن من السهل على رجال البوليس ان يدخلوا من الباب الغربي ويضعوا انفسهم وسط الداخليات وهم يواجهون الطلاب، ويبدو ان الطلاب قد فطنوا لذلك فلم يضعوا اي نوع من الحماية من الجهة الغربية، ووجهوا كل جهودهم الى الجهة التي توقعوا ان يتمركز فيها البوليس، وهي المنطقة الواقعة شمال ميدان الندوة، او الممر بين داخلية بركة وحجرة الطعام الكبيرة والورشة. فوضعوا سلكا شائكا تحت الاشجار القابعة في الظلام، وحاولوا ايصال السلك الشائك بسور مدرسة التجارة الثانوية ليقفلوا الطريق امام البوليس.

كان بعض الطلاب يتوقعون الصدام، لذلك فقد لبسوا ملابس الميدان، واعني بها الملابس القديمة والممزقة.

ان كل الاستعدادات التي اتخذها الطلاب وخاصة جمع الحجارة والزجاج وقطع فروع الاشجار لم تقررها اللجنة التنفيذية للاتحاد ولكنه كان اتجاه عام عند الطلاب تقتضيه دواعي مقاومة الاعتداء، وموافق عليه من اللجنة التنفيذية بلا بيان او توجيه رسمي لان اللجنة لم تكن تريد ان تتحمل مسؤلية جنائية اذا حدثت بسبب تلك الاستعدادات اصابات او وفاة.

وكان موافقا – ايضا – من اللجنة ان يصطدم الطلاب بالبوليس وان يصمدوا حتى النهاية رغم ان اللجنة لم تصدر قرارا رسميا بذلك.

لذلك فقد وجه بعض الطلاب، ربما بتوجيه من اللجنة االتنفيذية، نداء الى الطالبات الا يحضرن الى ساحة الندوة باعتبار ما سيحدث فيها من عنف وضرب واضطراب، ولكن الطالبات رفضن تلبية النداء وكن مع الطلاب في المعركة.

حضر الندوة الف طالب بالتقريب من مجموع طلبة الجامعة انذاك الذي يزيد قليلا عن الفين ومائتي طالب وطالبة، كان معظمهم من داخليات الجامعة الرئيسية وبعضهم الاخر من الطب وشمبات.

هذا العدد ليس العدد المقدر لحضور الندوة. قد يعزي عدم حضور الطلاب الى انه كان من المفروض ان يبدا امتحان نصف السنة في صباح اليوم التالي، الخميس ٢٢ اكتوبر في كلية الهندسة، ويبدا في الايام التالية في الكليات الاخرى.

وامعانا في اثارة الحماس وجذب الانتباه فقد خرج عدد من الطلاب في طابور عسكري من حجرة الطعام بعد العشاء، وساروا في خطوات عسكرية الى ميدان الندوة، وكل اعضائه يصيحون باعلى اصواتهم : يمين.. شمال .. يمين .. شمال ...

وبعد العشاء ادى بعض الطلاب فريضة العشاء في مصلى القاش، ودار بينهم نقاش طريف قبل الصلاة حول : هل يصلون العشاء صلاة خوف ام يصلونها صلاة عادية. وتجمع بعض طلاب مدرسة التجارة الثانوية في جانب من ميدان الندوة بعد ان بهرهم الحماس المتدفق من طلاب الجامعة، الا ان طلبة الجامعة منعوهم من حضور الندوة واعادوهم الى مدرستهم خوفا من ان يصاب واحد منهم باذى.

وفي مكان الندوة كان ربيع حسن احمد وانور الهادي يبحثان عن (شمعدان) ليوضع على منصة الحديث، ووجداه بعد بحث طويل في الحجرة ٤٢ بداخلية عطبرة.

واصيب (المايكروفون) بعطب فني كاد ان يذهب برونق الليلة لكن تم اصلاحه مع توقيت بداية الندوة.

كان الطلاب في حالة نفسية عالية، فقد قال الطالب حمزة عبد الله كنة لزملائه في الحجرة انه ربما يموت في هذه المعركة، ولذلك فانه سيصلي العشاء قبل ان يتوجه الى الندوة، ولعله كان يحس احساسا خفيا بان حادثا سيقع له اذ انه اصيب برصاصة في المعركة في تلك الليلة اقعدته في المستشفى عدة ايام.

في الساعة الثامنة والنصف ومع بداية الندوة كان رجال البوليس يتسللون تحت جنح الظلام من الباب الغربي المواجه لمستشفى العيون، في هدوء وحذر. واتجه صفهم شرقا الى المنطقة الواقعة بين الورشة وحجرة الطعام الكبيرة وداخلية بركة. ثم اصطفوا تحت الاشجار الواقعة جنوب داخلية بركة وشرق الورشة، واستطاعوا ان يزيلوا السلك الشائك بسهولة، واصطفوا تسترهم عتمة الليل وظلال الاشجار في تاهب واستعداد.

ثم جاءت عربتان تحملان بعض ضباط البوليس، وكان احدهم يحمل مكبرا للصوت.

كان صوت ازيز العربتين هو اول صوت ينبه الطلاب الى وجود البوليس.

جاء بعض الطلاب يحملون عددا من الكراسي من الداخليات. والواقع ان عدد الكراسى كان ضئيلا، ولم يكن الطلاب - كما اسلفت - يقصدون ان يجلسوا جلوسا منتظما ليستمعوا الى تقييم علمي لمشكلة الجنوب ويناقشوا جوانبها، وانما كان قصدهم الاول هو ان يجتمعوا في مكان الندوة ليردوا على تحدي البوليس، لذلك لم يجلسوا جلوسا منتظما انما تفرقوا في ساحة الندوة جماعات جماعات في حالة تحفز و تاهب.

تم اصلاح (المايكروفون) في الساعة الثامنة و النصف، وبدات الندوة بكلمة قصيرة من مديرها انور الهادي عبد الرحمن عضو اللجنة التنفيذية. قال في تقديمه : انهم يقيمون هذه الندوة لانهم يعتبرون مشكلة الجنوب مشكلة قومية يجب ان يشارك الجميع في حلها، وان حلها يجب ان يكون حلا سلميا، ثم تحدث عن عناد الحكومة وكال لها النقد واللوم البالغ.

ثم قدم المتحدث الاول في الندوة الطالب بابكر الحاج عن الجبهة الديموقراطية، فتحدث حديثا قصيرا مركزا لم يتعد الخمس دقائق، وفي اثناء حديثه كان رجال البوليس قد ازالوا السلك الشائك واصطفوا في حالة استعداد منتظرين اوامر الضرب.

وتقدم من جانب البوليس رجل بدين لا يكاد يتحرك الا بصعوبة، واتجه الى مكان الندوة والعيون تراقبه في تحفز وسكون. وسار في اتجاه نصف دائرة في الجهة الغربية لتجمع الطلاب. ثم عاد ادراجه بعد ان سرى الهمس بين الطلاب بانه ضابط بوليس، وعرفه احدهم بانه كان يعمل في مدني، وسرى الهمس سريعا بان الحكومة استنجدت ببوليس النيل الازرق.

ثم تقدم انور الهادي الى المايكروفون وقدم ادم محمد ادم عن الجبهة الوطنية الاشتراكية. لكن قبل ان يغادر انور الهادي المنصة ذكر الطلاب بان يلتزموا جانب الهدوء حتى لا تتعطل الندوة.

وتقدم عدد من رجال البوليس امامهم ضابط يحمل (مايكروفونا) ووقف على بعد خمسة عشر مترا من الطلاب، ووجه المايكروفون وقال : ايها الطلاب تفرقوا الى داخلياتكم.

وتوقف المتحدث عن الكلام، وحدثت همهمة بين الطلاب، وتصايح بعضهم مستنكرين تدخل البوليس.

وتقدم انور الهادي الى المنصة ووجه الطلاب بان يلتزموا اماكنهم، والا يلتفتوا الى اي صوت او حديث من خارج المنصة الرئيسية المعدة للحديث.

وجاء صوت البوليس للمرة الثانية : ايها الطلاب تفرقوا الى داخلياتكم ..

فارتفع صراخ الطلاب وشتائمهم، وبدا بعضهم يهتف (الارهاب لن يثنينا). وتقدم انور الهادي الى المنصة وطلب من الطلاب التزام جانب الهدوء، ووجه حديثه الى الطالبات بان يخرجن من مكان الندوة من الجهة الغربية، ثم القى خطبة ملتهبة اثارت حماس الطلاب وختمها ببيت الشابي المشهور :

اذا الشعب يوما اراد الحياة   فلا بد ان يستجيب القدر

ولا بد لليل ان ينجلي   ولابد للقيد ان ينكسر

وصفق الطلاب بحماس شديد، وعلت الهتافات تشق عنان السماء. كان الوضع قد وصل مرحلة اللا رجوع في مرحلة من الغليان توشك على الانفجار.

وجاء صوت الضابط عبر (المايكروفون) يحمل نذر التهديد والوعيد، للمرة الثالثة : تفرقوا ايها الطلاب والا استعملنا القوة لتفريقكم.

في هذه الاثناء كانت اخر طالبة قد خرجت من دائرة الندوة، وتحركن بعيدا الى جهة داخلية كسلا.

لم يمتد الزمن بعد الانذار الثالث اذ بدات تحركات البوليس، واعقبها صوت يشبه انطلاق الرصاص ثم اعقبته اصوات فرقعة، وغمر الجو دخان كثيف.

المعـــركة

هكذا بدات المعركة بهجوم خاطف من البوليس غمر كل المنطقة بدخان كثيف من الغازات المسيلة للدموع، وفي اللحظات الاولى - وهي عادة الطلاب دائما في صداماتهم مع البوليس - هرب الطلاب واحتموا بالداخليات المحيطة بمكان الندوة، وهي الدندر وكسلا والقاش وعطبرة (ا) وعطبرة (ب) وبحر الزراف وسوباط وامتدادها.

وفي اثناء التراجع كان الطلاب يهتفون (تسقط الديكتاتورية العسكرية) و(الارهاب لن يثنينا)، ثم ارتفعت الاصوات من كل جانب (اثبتوا .. اثبتوا ايها الطلاب) ..

ثم صعد احد الطلاب على الطابق الثاني من داخلية كسلا وصاح في الطلاب بصوته الجهوري : الثبات .. الثبات ايها الطلاب ..

ويبدو ان صدمة المفاجاة قد زالت بسرعة وعادت للطلاب رباطة جاشهم، فبداوا تنظيم صفوف المقاومة بصورة تلقائية.

انقسم الطلاب الى قسمين كبيرين، مجموعة اصطفت على طول داخلية الدندر في جانبها الشمالي، والمجموعة الثانية كان اولها في المنطقة بين داخليتي سوباط والزراف.

واستمرت المعركة لفترة طويلة سجالا بين البوليس والطلاب. فالبوليس يهجم بالعصي ويقذف بقنابله المسيلة للدموع، فيضطر الطلاب الى التراجع الى الداخليات واحيانا الاحتماء بالحجرات، ثم يعود البوليس لياخذ حصيلة اخرى من القنابل فيتبعه الطلاب بالرجم وقذف الحجارة والطوب .. وهكذا ..

كانت قنابل الغاز كثيرة لدرجة ان ارتفع دخانها وانعقد مع غبار المعركة مكونا سحابة داكنة في سماء (البركس). ولاحظ بعض اهالي بري ذلك ولكنهم لم يعللوه بالصورة التي حدث بها. وقد شاع بين الطلاب في تلك الليلة ان رجال البوليس استعملوا نحو ستمائة قنبلة

وهي كل ما معهم، ثم ارسلوا في طلب المزيد، ولم تاتهم غير مائتين فقط، ولما نضبت كل مئونتهم من القنابل المسيلة للدموع اضطر البوليس لاطلاق الرصاص، وهو على كل حال احد التعليلات التي كان الطلاب يزعمون انها السبب الرئيسي في اطلاق الرصاص في تلك الليلة.

اطلاق الرصاص

في اثناء عملية الكر والفر بين الطلاب والبوليس انفرد احد رجال البوليس عن زملائه بين الداخلية (نمرة ٣)، امتداد سوباط وامتداد بحر الزراف. فهجم عليه الطلاب والقوه ارضا وضربوه ضربا مبرحا واخذوا خوذته التي احتفظوا بها في مكتب الاتحاد حتى عرضت مع اشياء اخرى في المعرض الذي اقامته جمعية التصوير بعد نجاح الثورة بايام.

وتابع اثنان من رجال البوليس عددا من الطلاب ، واستطاع الطلبة استدراجهما حتى دخلا في حجرة في امتداد بحر الزراف، فاغلقت الابواب، وتجمع الطلاب واشبعوهما ضربا. واحس رجال البوليس بفقدهم زميليهما فجاء ضابط على راس مجموعة من اربعة يتسلحون بالبنادق وحملوا الرجلين وعادوا بهما، وفي رحلة العودة طوقهم الطلاب من كل الجوانب.

وفي (برندة) امتداد سوباط دارت معركة حامية خاضها الطلاب وهم يقاتلون بالعصي وفروع الاشجار والحجارة، واصيب فيها رجال البوليس بجراح.

ويبدو ان الضابط احس بحلقة الحصار قد احكمت حولهم وان حياتهم اصبحت في خطر، فما كان منه الا ان اخرج مسدسه واطلق منه رصاصة في الهواء، فاجفل الطلاب وتراجعوا خوفا من الرصاص، وانتهز الضابط فرصة فك الحصار فاخذ رجاله وانسحب، وعند وصوله

اعطى اوامره لقوات البوليس التي كانت متجمعة في الميدان الواقع شمال داخلية سوباط باطلاق الرصاص.

هذه هي الرواية الاولى عن قصة اطلاق النار.

اما الرواية الثانية فتقول ان رجال البوليس الذين اطلقوا الرصاص كانوا يحتلون موقعين هامين : الموقع الاول هو ميدان (النجيلة) الواقع بين الشفخانة وداخلية سوباط، والموقع الثاني هو الممر العالي (المسطبة) التي تربط بين داخليتي بحر الجبل وحماماتها من الجهة الغربية، وان الاوامر باطلاق الرصاص صدرت لهذه المجموعات بعد ان نفدت ذخيرة قنابل الغاز المسيل للدموع.

في كلا القولين اللذين قيلا عن سبب اطلاق الرصاص فان قائيلها لم يختلفوا في ان هاتين المجموعتين هما اللتان اطلقتا الرصاص بدليل ان الطلاب الذين اصيبوا بالرصاص كانوا يقفون في مجرى الرصاص لهاتين المجموعتين، فبعض الطلاب كانوا يقفون في (البرندة) التي تفصل بين الحجرة الاولى وبين حمامات داخلية سوباط، وكان بعضهم يقف على الارض في المنطقة بين داخليتي سوباط والقاش، وقد اصيب في تلك المنطقة معظم الذين اصيبوا بالرصاص، ولعل اول من اصيب هما الطالبان عثمان البلك وخالد نجم الدين.

لم يدر ببخلد احد الطلاب ان البوليس سيكون قاسيا لدرجة اطلاق الرصاص على طلاب عزل غزاهم في (عقر دارهم)، وحينما كانت اصوات الطلقات تخرج متتابعة كان الطلاب يتصايحون (فشنك .. فشنك .. دا فشنك). واطلقت احدى الطالبات (زغرودة) حينما سمعت صوت الفشنك وطلبت من اخواتها ان يوقفن صب الماء (لان قنابل الغاز كملت خلاص .. وصار البوليس يهدد بالفشنك)، ولم يتحقق الطلاب من انه رصاص الا بعد دقائق معدودة حينما تساقط بعض المصابين وظهرت بقع الدم على البلاط.

الواقع ان الطلاب لم يختلفوا في شيء مثل اختلافهم في وقت اطلاق الرصاص ومدته، فقد تضاربت الاراء في الزمن الذي اطلق فيه الرصاص لان ذلك الزمن لم يجد من يرصده في وقت كان الجميع يخوضون فيه معركة ضارية، وكل ما قيل لايتعدى ان يكون تخمينا على اساس حسابي بدا الناس يفكرون فيه وهم يجترون الذكريات بعد ان سقط النظام وهدات حدة التوتر ولم يبق لابطال اكتوبر الاوائل الا ان يحكوا ماحدث.

قال بعض الطلاب ان اطلاق الرصاص بدا في الساعة الحادية عشر، وهذا ابعد الاراء احتمالا. وقال اخرون كان بدء الرصاص في الساعة التاسعة الا ربعا بطلقات من مسدس ثم توقف، ولم يصب بهذه الطلقات احد. ثم بدا الضرب الذي اصيب به الطلاب في الساعة التاسعة والنصف، وقال فريق ثالث انه بدا في الساعة التاسعة والربع.

وتضاربت الاراء كذلك حول مدة اطلاق الرصاص. قال بعض الطلاب ان الضرب استمر ثلاث او اربع دقائق. وقال اخرون انه استمر ربع ساعة. وكان راى الاولين ان اطلاق الرصاص لو استمر ربع ساعة لكانت اصابات القتل والجرح اكثر مما هي عليه الان. ويرد الاخرون بان عتمة الليل وقلة الاضاءة لم تمكن البوليس من اصابة الطلاب فضلا عن ان الطلاب الذين كانوا يتواجدون في مجرى الرصاص كانوا قلة بالنسبة لمجموع عدد الطلاب. وقد وجدت اثار طلقات كثيرة في حيطان داخلية سوباط وهي لاتزال موجودة الى اليوم.

مهما يكن من شيء فان الرصاص استمر مدة لا تقل عن اربع دقائق ولا تزيد عن ربع ساعة على ارجح الاقوال.

الشهيد

كان شهيد الثورة البكر، احمد القرشي طه، يقف مع مجموعة من الطلاب في مسطبة داخلية سوباط بين الحجرتين الاولى والثانية من جهة والحمامات من جهة ثانية، فاصابته الرصاصة في راسه فتهشمت الجمجمة وانفجر الدم وسقط الشهيد وتلوثت ملابسه والبلاط الذي سقط فوقه بدمائه.

جرى اليه بعض الطلاب وحملوه الى الحجرة الثانية في الداخلية وهي على بعد اقدام من المكان الذي سقط فيه، وارقد على سرير بداخلها، واحس الطلاب ان حالته لا تسمح بابقائه لاي فترة من الزمن لانه كان في حالة خطرة : كان فمه يفتح ويقفل مع التنفس الهادىء البطيء، وظهرت قطرات من الدم بين شفتيه.

وبدا الهمس بين الطلاب ينقل خبر الطالب (الذي مات)، وهو في الواقع لم يمت حتى تلك اللحظات. وفي سرعة غريبة كان الطلاب يرددون الجملة التى نقلها اليهم الاخرون (قالوا واحد من الطلبة مات)، ولم يتحمل بعض الطلاب هذا الخبر القاسي فاخذوا ينتحبون بصوت عال، ومن تصبر منهم كان يجفف دموعه بيديه.

في اثناء المعركة، وبعد ظهور الاصابات، حاول الطلاب ان ينقلوا جرحاهم الى الخارج، وتمكنوا بالفعل من نقل الجرحى الاوائل وفيهم الشهيد احمد القرشى طه.

وفي تلك الاثناء خرج بعض الطلاب واخذوا يعرقلون اعمال البوليس في شارع الجامعة، فقرر رجال البوليس ان يفصلوا بين الطلاب في الشارع والطلاب في الداخليات. لذلك جاءتهم الاوامر سريعة بان يمنعوا اي انسان من الدخول والخروج من ميدان المعركة، ولم يكن هذا الامر يحتمل اي تفسير او استثناء، وحدثت الازمة عندما جاء بعض الاساتذة وحاولوا الدخول فمنعهم البوليس .

كان الاساتذة قد اتصلوا من ناديهم بالمستشفى ليرسل اسعافا يحمل الجرحى، فجاء الاسعاف وفيه الطبيبان : الدكتور محمد زين محمد والدكتور عمر الحاج . فمنع الاسعاف من الدخول واعتقل الطبيبان واخذا لقسم بوليس السفارات.

وجاء اربعة اساتذة وحاولوا الدخول وهم : الدكتور حسن الترابي، والدكتور عثمان سيد احمد اسماعيل المشرف على شؤون الطلبة، والاستاذ محمد صالح عمر والاستاذ احمد عبد الحليم. ورجع الاستاذان محمد صالح عمر واحمد عبد الحليم الى نادي الاساتذة ومن هناك اتصلا بالدكتور عبد الحليم محمد مدير مستشفى الخرطوم. واتصل اتحاد الطلبة بالبروفسير النذير دفع الله مدير الجامعة، وكان المديران مدعوان الى حفل عشاء في تلك الليلة.

وتاخر الدكتور حسن الترابي والدكتور عثمان سيد احمد،. ركب الترابي عربته ودار بها حول الداخليات مخترقا مدرسة الخرطوم الثانوية الى السور الجنوبي لداخليات (البركس) والذي يقع جنوب داخلية الدندر، واستعان بطلاب مدرسة الخرطوم الثانوية من الخارج ونادى بعض طلاب الجامعة من الداخل، ووضعوا ثقلهم على السور حتى ساووه بالارض.

وبدا اخراج الجرحى من هذا الطريق الجديد بعد ان كانوا ينقلون الى الحجرات العامة البعيدة عن نطاق البوليس وخاصة الحجرة العامة لداخلية بحر الزراف.

واستعان الدكتور الترابى ببعض طلاب مدرسة الخرطوم الثانوية للمرة الثانية لايجاد طريق الى شارع بري عبر احدى نوافذ العنبر الطويل في داخلية الخرطوم الثانوية، فكسر الطلاب احد النوافذ واستعملت كطريق لاخراج الجرحى الى الشارع الرئيسي.

وسار الدكتور الترابي عدة رحلات بين الجامعة والمستشفى حاملا بعض الجرحى، ثم لحق به الاساتذة عثمان سيد احمد ومحمد صالح عمر وعثمان خالد المحامي.

وفي حوالي الساعة الحادية عشر كانت كل العربات القادمة من الخرطوم بحري ومن بري، اجرة وخصوصي، بلا استثناء ، تشارك في عملية نقل الطلاب الجرحى الى مستشفى الخرطوم.

كانت الحالة في الجامعة قد هدات بعض الشيء، فقد اخذ التعب ماخذه من الطلاب ورجال البوليس على السواء، واضطر رجال البوليس لايقاف هجماتهم على الطلاب لان حملات الطلاب كانت قد توقفت، وبدا الطلاب يبحثون ويسال بعضهم بعضا عن اسماء الجرحى والقتلى.

بعد ان عاد الهدوء للجامعة وجد ضباط البوليس انفسهم في اشكال جنائي، ذلك انهم لم يكن معهم اذن كتابي يخول لهم اطلاق الرصاص، ولم يكن معهم قاض يمكن ان يقولوا انه اعطاهم الامر شفاهة، فضلا عن ان تدخلهم في حرم الجامعة سيدحض اي فكرة تقول ببدء الطلاب بالاعتداء عليهم.

بعد اطلاق الرصاص بوقت لم يطل توقفت مقاومة الطلاب، وبقيت مناوشات قليلة في المنطقة حول داخلية الدندر، ثم توقفت كل المقاومة بعد ذلك.

وشن رجال البوليس حملة اعتقالات على الطلاب فاعتقلوا ثلاثة منهم.

واصيب الطالب خالد الحاج برصاصة في قدمه، فوضعه اثنان من زملائه على سرير امام داخلية امتداد بحر الزراف. كان يقف بجانبهم طالب الماني ظل يصور احداث المعركة منذ ان وقف انور الهادي يقدم المتحدثين، ثم جاءهم طالب رابع، وحملوا السرير وخرجوا من البوابة

الرئيسية . وامام (كشك عطية) هجم عليهم البوليس واعتقلهم جميعا، بمما فيهم الطالب المريض، اعتقل في سريره واضطر البوليس لاعادته للمستشفى بعد ساعات. لم تتوقف حملة الاعتقالات على الطلاب فقط، انما تعدتهم الى بعض الاساتذة والمعيدين وبعض موظفي الجامعة.

كان المعيدون هم عبد الله حسن احمد وابراهيم محمداي، ومعهم عبد الرحمن يوسف حيدوب الموظف بالمكتبة يجلسون في الحجرة ١٤ في الداخلية الاولى. هذه الحجرة تطل على مقر بوليس السفارات. فاستطاعوا ان يرصدوا كل تحركات البوليس حتى بدات الندوة. وحينما تفرق الطلاب بين الداخليات في عملية الكر والفر جاء جزء منهم الى الداخلية ليغسلوا وجوههم من الدخان حتى يعاودوا الكرة من جديد، فتعقبهم البوليس مرة اخرى الى الداخلية الاولى واقتحموا الحجرة التى فيها الاساتذة وقادوهم جميعا الى بوليس السفارات، ثم دخل رجلان من البوليس وبصحبتهما اثنان من الدكاترة : محمد زين محمد وعمر الحاج. كان الطبيبان كما ذكرنا من قبل قد ابلغا بحادث الجامعة فخفا الى مكان الحادث، وعند البوابة اعتقلهما البوليس الذي لم يكن يفرق بين الطالب والاستاذ والدكتور.

وحمل بعض الطلاب طالبا جريحا، ولم يكونوا يعرفون اسمه، وانضم اليهم طالب من داخلية سوباط، وما ان راى وجه الطالب الجريح حتى بدا يصيح كالمجنون .. بابكر .. بابكر .. بابكر .. كان الطالب الجريح هو بابكر حسن عبد الحفيظ.

ووقفوا به امام امتداد داخلية سوباط، وجيء بسرير من الداخلية ووضعوا عليه الطالب وحملوه، وتقدموا الى بوابة (البركس)، وعندها قذفهم احد رجال البوليس بقنبلة غاز، فجرى بعض الطلبة ممن كانوا يحملون السرير، وكاد السرير ان يسقط من الايدي لولا قوة سواعد الباقين.

وفي طريق بري انزلوا السرير ووقفوا حوله يتحدثون، كان كل حديثهم يدور حول الرصاصة التي مزقت جسم بابكر.

ومرت بهم عربة (ملاكي) في طريقها الى بري واشاروا الى صاحبها ان يقف، فخفف من سرعة عربته، ووصلت الى اذنه كلمة (رصاص)، فلم تسعفه الشجاعة وولى هاربا، وجاء بعده صاحب عربة (تاكس)، فاوقفوه ووضعوا جريحهم في داخل العربة وانطلق بهم الى المستشفى.

الطالبات

عندما انسحبت الطالبات، في بداية الندوة، اتجهن الى داخلية كسلا، وعندما بدا ضرب القنابل المسيلة للدموع بدان (يزغردن) ويشجعن الطلاب. لذلك لم يكن غريبا ان قلت ان احد قسمي الطلاب كان يحارب في تلك الليلة في الميادين التى تحيط بداخلية كسلا حتى يصنعوا حولهن سدا منيعا لايسمح للبوليس بالصعود اليهن، بجانب ما في تشجيع المراة للرجل في مثل تلك اللحظات من اثر فعال.

ويبدو ان (زغاريد) الطالبات استفز رجال البوليس فاخذوا يصوبون اليهن وابلا من قذائف الغاز المسيل للدموع مما ادى لاحتراق ثوب احدى الطالبات واصابة الطالبة سهام مصطفى بجرح خفيف.

وعند بداية اطلاق الرصاص سالت احدى الطالبات وهي في الطابق الثالث في دخلية كسلا : دا رصاص ؟ فاجابها احد الطلبة : لا .. دا فشنك . فاطلقت (زغرودة) عالية وصاحت في اخوتها : كفاية موية .. القنابل كملت خلاص.

كانت الطالبات يقفن في الطابق الثالث من داخلية كسلا وهن يمسكن بخراطيم المياه حتى يتمكن الطلاب من غسل وجوههم منها.

الطلاب الجنوبيون

وتجدر الاشارة هنا الى القصة الباسلة التى سجلها الطلاب الجنوبيون في تلك الليلة الحالكة. فقد قرروا الا يشتركوا في هذه الندوة، ولم يبعثوا مندوبا يتحدث باسمهم في ندوة عن الجنوب ربما كانت اهميتها بالنسبة لهم اكثر من غيرهم. والواقع ان هذا الموقف السلبي الذي اتخذوه هو امتداد لانعزالهم عن الحركة الطلابية (الشمالية) في جامعة الخرطوم.

كان الطلاب الجنوبيون كافراد وكجبهة منظمة، اعضاء في اتحاد طلاب جامعة الخرطوم. وفي اوائل عام ١٩٦٣ حدث بينهم وبين الاتحاد اشكال بسبب صورة زيتية قدمت في معرض احدى الجمعيات بدار الاتحاد واعتبروها اهانة موجهة ضد جنوب السودان وسكانه، فانتزعوا الصورة من المعرض واحرقوها في احتفال رمزي وطالبوا الاتحاد ان يصدر ادانة بحق الطالب راسم الصورة، ولم يستجب الاتحاد لهذا الطلب فاعلنوا انسحابهم من الاتحاد.

المهم بالنسبة لنا الان هو سرد تفاصيل اشتراكهم في اللحظات الحرجة في تلك الليلة. قلت انهم اتخذوا موقفا سلبيا من الندوة، وقرروا عدم الاشتراك فيها، والايتعاد عن اي صدام مع البوليس. وفي وقت الندوة صعدوا في الطوابق العليا من داخلية عطبرة.

في اثناء احتدام المعركة، في الظلام، شعر البوليس بتحركات في الطوابق العليا من داخلية عطبرة، فظنوا ان بعض الضربات كانت توجه اليهم من هناك. فصعد احد رجال البوليس على سلم الداخلية خلسة ربما ليفتح الطريق امام زملائه. فاحس الطلاب الجنوبيون بحركته وتربصوا به وهجموا عليه دفعة واحدة وقبضوا عليه دون ان يتمكن من بذل اي مجهود في مقاومتهم. وكان جزاؤه، وياهول الجزاء، ان القوا به من الطابق الثالث الى الارض.

وهكذا وجد الطلاب الجنوبيون انفسهم في المعركة ولم يترددوا في دخولها، اذ لم يطل بهم المقام حتى راوا احد رجال البوليس يحمل في يديه عددا من القنابل المسيلة للدموع يسير متربصا ومتخفيا حتى يفاجيء تجمعا من تجمعات الطلاب امام داخلية الدندر. فاحضر احد الطلاب الجنوبيين سلما حديديا ثقيلا وانتظر رجل البوليس حتى يمر من تحته، وفي اللحظة المناسبة، وعندما صار رجل البوليس تحت السلم الحديدي احس بشيء ثقيل يصطدم به، واحس بدوار وسقط وقد قدر لي

شخصيا ان اشهد هذه الحادثة، ولم اشك في ان رجل البوليس قد اصيب اصابة ليس من السهل ان يخرج منها سليما.

ولم تمض دقائق على ذلك حتى سجلت داخلية عطبرة الحادث الثالث في تلك الليلة، وهي قصة رجل بوليس اتخذ من مجموعة من الطلاب في داخلية الدندر هدفا لقذائفه، فسار اليهم مستخفيا ولم يشعر الا بهزة عنيفة واحس بان قواه تخذله فاغمي عليه وسقط. ولو خلق الله له عينين في اعلى راسه لراى اثنين من الطلاب يحملان (زير ماء) يصوب اليه ثم يقذف، ولم يحس به الا بعد ان لامس راسه، فلم يبق امامه الا ان يخر مغشيا عليه.

المعركة في الشارع

فيما بين التاسعة والنصف والعاشرة والنصف وحينما غمر الجو بدخان الغازات الكثيف خرج مايقرب من المائة وخمسين طالبا، لم يستطيعوا مقاومة الغاز، وتجمعوا امام مدرسة الخرطوم الثانوية للبنين وقرروا ان يخرجوا بالمعركة الى الشارع، فاتجهوا الى(صينية الحركة) عند ملتقى شارع الجامعة والشارع النازل من كبرى النيل الازرق، وبداوا يهتفون. وجاءتهم احدى العربات المحملة برجال البوليس وقذفتهم بشواظ قنابلها، فتشتت الجمع وانقسموا الى عدة اقسام، قسم رجع الى داخليات (البركس)، وقسم بشارع الجمهورية، واخترق القسم الثالث شارع البرلمان وسار الجزء الاكبر بشارع الجامعة. ولحق بهم البوليس مرة اخرى، فهربوا من وجهه واحتموا بمباني الادارة وكلية الحقوق. فاوقف البوليس المطاردة، فتجمع الطلاب في شارع الجامعة مرة اخرى، وقرروا هذه المرة ان يدخلوا مع البوليس في معركة جانبية حتى ينشغل بهم ويجد الطلاب في داخلية البركس الفرصة ليخرجوا حتى تنتقل المعركة باكملها الى الشارع. وهكذا جمعوا كميات من

الحجارة وبداوا يقذفون كل عربة بوليس تمر بشارع الجامعة حتى الساعة الحادية عشر حينما جاءهم خبر وفاة احد الطلاب.

في الساعة الحادية عشر جاء بعض طلاب المعهد الفني، الاقسام العالية، وطلبوا عقد اجتماع مع لجنة اتحاد الجامعة، ولم يكن موجودا من اعضاء اللجنة غير خمسة اعضاء. لذلك لم يتم عقد الاجتماع الرسمي وانما استعرض الجميع تفصيلات الموقف حتى تلك اللحظات.

المعارك الصامتة في مستشفى الخرطوم

في مستشفى الخرطوم كان عددا من المصابين قد نقلوا الى غرفة العمليات. وغرفة العمليات ليست غرفة واحدة انما هي عدد من الغرف المتفرعة الصغيرة.

في غرفة جانبية كان يرقد جثمان الشهيد القرشي والطالب الجريح عثمان البلك.

كان عثمان البلك قد اصيب برصاصة في الشق الايسر من الصدر، وقد ذكر الطالب عبد الرحيم علي الباهي الذي رافقه في عربة (التاكسي) من الداخليات الى مستشفى الخرطوم، انه كان يردد الشهادتين باستمرار منذ ان عرف انه اصيب برصاصة في صدره، وكان يقف بين لحظة واخرى ليتحدث عن ذلك الوضع العسكري الغاشم الذي يعتدي على الابرياء ويستبيح دماءهم. ثم يذكره بان ما بدا في تلك الليلة يجب ان لا ينتهي بموت فرد او افراد، ثم يستمر في تكرار الشهادتين.

وفجاة شق السكون صوت صرخة نسائية من الحجرة التي يرقد فيها القرشي وعثمان البلك. انها احدى الممرضات، صرخت في اللحظة التى توقف فيها نبض الشهيد بعد دقائق معدودة من وصوله لغرفة العمليات.

وبدات الهمهمة في الخارج كئيبة مرة : طالب مات .. طالب استشهد ..

ودخل احد رجال البوليس حجرة الشهيد وكان يلبس لبس الطوارىء، وقال انه مكلف بكتابة اسم الشهيد، وارتفعت صرخات الطلاب من كل جانب، واقتحموا عليه الحجرة، وتجمهروا حوله ثم اقتادوه الى خارج الغرفة.

كان وجه الشهيد - لحظة موته - نظيفا، وعيونه مغمضة لكنها متورمة قليلا ذلك لان الرصاصة اصابته فوق عينه واخترقت راسه، لذلك لم يبد من اثارها الا جرح صغير هو الذي تسبب في تورم العين، ولكن الرصاصة احدثت تجويفا في مؤخرة الراس فتهشمت الجمجمة وتجمد الدم على الوسادة تحت راس الشهيد.

نادى احد الطلاب على رئيس الاتحاد - ربيع حسن احمد - وطلب منه ان يدخل ليرى الشهيد ان كان يعرفه من قبل، ودخل ربيع ووجد الجثمان مغطى بملاءة خضراء.

لم يحدث في حياته ان راى انسانا ميتا، لذلك ارتجفت يده ولم يستطع ان يرفع الغطاء عن وجه الشهيد ... ورجع.

واستطاع الطلاب بسرعة ان يجمعوا بعض المعلومات اللازمة عن الشهيد بعد ان رن في الاف الاذان لاول مرة اسم (احمد القرشي طه). فقد عرفوا ان اهله من قرية اسمها (القراصة) في منطقة بحر ابيض، وانه كان يسكن داخلية الدندر (سميت فيما بعد باسمه : القرشي)، في الغرفة رقم ٥٥، وانه في السنة الاولى بكلية العلوم قسم الاحياء، وان احد اعمامه يعيش في ام درمان.

وبعد نصف ساعة من موت القرشي حمل جثمانه الى المشرحة، وانطلقت الاشاعات بصورة محطمة للاعصاب، فلا تكاد تمضي دقائق حتى تثور اشاعة بموت احد الطلاب. وبدا الطلاب يتجمعون حول

المشرحة ويدخل بعضهم ليلقى نظرة اخيرة على الشهيد. وقبيل الساعة الثانية عشر جاء عم القرشي من ام درمان، ثم جاء الى المشرحة اعضاء اللجنة التنفيذية وعقدوا اجتماعا قصيرا قرروا فيه ان يلتقوا بعد كل عشر دقائق حتى لا يضطر احد الاعضاء لان يتصرف تصرفا فرديا طائشا في تلك اللحظات الحرجة، وحتى يقابلوا كل من يحضر ويجروا الاتصالات اللازمة مع الاساتذة.

وفي داخل المستشفى عقدت اللجنة اجتماعا قصيرا، وكانت الحالة قد هدات، فبداوا يعودون الى انفسهم، وبرز امامهم السؤال الكبير : ما العمل ؟

وتفرعت منه اسئلة كثيرة حول تجهيز الجثمان، وكيف يدفن، واين يدفن، ومن يحمل النعش، وماهو موقف سلطات الامن من موكب التشييع ؟

اقترح بعضهم ان تتولى اللجنة تجهيز الجثمان ودفنه في احد ميادين الجامعة. كان هنالك راي اخر هو ان اهل الشهيد لا يمكن ان يتركوه يدفن في الجامعة. واخيرا اوضح احدهم ان كل مايطمعون فيه هو ان يتشاوروا مع ولي امر الفقيد في ان يترك الجثمان حتى يتم تجهيزه بواسطة الاتحاد ثم يحمل الى الجامعة حيث يصلى عليه هناك، وبعد ذلك لاهله ان ياخذوه.

وجاء عم القرشي وتحدث الى اعضاء اللجنة فيما يختص بالجثمان، وعرضوا عليه كل الاقتراحات والافتراضات. في اول الامر رفض عم القرشي كل الاقتراحات المقدمة، وبعد اخذ ورد ومشاورات وافق ان يحملوه للجامعة ويصلوا عليه هناك.

كان السؤال الذي قفز الى اذهانهم تلقائيا بعد موافقة عم القرشي هو : البوليس .. هل ستوافق سلطات البوليس ؟

في الساعة الثانية عشر او بعدها بقليل جاء البروفسير النذير دفع الله مدير جامعة الخرطوم الى المستشفى، ويبدو انه كان يتوقع ان يجد الطلاب في قمة ثورتهم عليه، فبدا ساكنا لا ينبس بشفة.

لقد كان كل غضب الطلاب في تلك اللحظات منصبا عليه، فبجانب الفكرة التي يرويها عنه الطلاب من انه سلم الجامعة لقمة سهلة للحكم العسكري، وانه لم يبد مقاومة تذكر لاتجاههم لضم الجامعة لوزارة التربية والتعليم، بجانب ذلك كان الطلاب يتناقلون احاديثه لاعضاء اللجنة التنفيذية ويتتبعون خطواته الاخيرة لمنع قيام الندوة. وفي تلك الامسية بالذات كان بامكانه ان يقف موقفا غير الذي وقفه، وان يعترض البوليس ويمنعه من دخول حرم الجامعة، او ان يتصل بالمسئولين بوزارة الداخلية، ولكنه بدلا من ذلك كله كان يلبى دعوة العشاء بينما كان هنالك عدد من الاساتذة يقفون في خط النار مع الطلاب في لحظة المقاومة، وعدد اخر من الاساتذة يجتمعون في ناديهم ويرقبون الموقف من بعيد.

بكل هذا الرصيد من دواعي الغضب والاستنكار قابل الطلاب السيد المدير، فالتفوا حوله، بعضهم يوجه اليه اسئلة غاضبة، وبعضهم يتمتم بالفاظ غير مفهومة، وبعضهم يصيح ويصرخ، وهو واقف بينهم لايتكلم.

واخيرا افسح له اعضاء اللجنة الطريق ليخرج.

رغم ان خبر الصدام بين البوليس والطلاب لم يخرج من حدود الجامعة حتى الساعة العاشرة، وهو موعد تكون فيه معظم الاسر السودانية قد اوت الى فراشها، الا ان الخبر انتشر وطاف على احياء العاصمة بمدنها الثلاث، ربما بواسطة (التاكسى)، وربما بطرق اخرى، لكن المهم ان الخبر انتشر بسرعة فائقة، وبدات اعداد كبيرة من المواطنين تفد الى المستشفى.

كان اول الوافدين الاستاذ بشير محمد سعيد رئيس تحرير صحيفة (الايام)، ثم الاستاذ عبد الرحمن مختار رئيس تحرير صحيفة (الصحافة)، والتف حولهما الطلاب، وطلبوا منهما ان ينشرا الخبر مفصلا، فوعدا بنشره، الا ان الخبر لم يظهر في صحف الصباح.

لقد كانت الصحف تسير في درب ضيق من حرية التعبير والنشر. واذا كانت الرقابة، كما اوضحنا في مكان سابق، تضيق الخناق على الصحف في نشر الاخبار والتعليقات الخارجية كذلك، الا انها كانت قيودا اخف، لذلك لم يكن غريبا ان تتجه الصحف - خاصة في اخبار الصفحة الاولى التي يفترض فيها ان تكون اخبارا داخلية، اتجاها خارجيا، كل الصحف باستثناء جريدة الثورة.

واذا نظرنا - على سبيل المثال - الى عناوين جريدة (الصحافة) خلال شهر اكتوبر عام ١٩٦٤ لوجدنا انه خلال الفترة من ١ الى ٢٣ الكتوبر لم تكتب غير ثلاثة عناوين رئيسية عن الوضع الداخلي في صفحتها الاولى وكل العناوين للايام الباقية هي عن الاحداث العالمية : اعتقالات في عدن، اعتقال خرتشوف، فوز حزب العمال بعد ثلاثة عشر سنة، عاد الثلاثة بسلام (وهم الطيار والطبيب والعالم الروس الذين داروا حول الارض)، تشومبي يعود خائبا، اعدام في صنعاء، خطاب عبد الناصر في مؤتمر عدم الانحياز بيوغسلافيا، الحكومة الجزائرية تصادر .. الخ .. الخ .

وعاد الاستاذ عبد الرحمن مختار الى المستشفى مرة اخرى بعد الثانية صباحا وهو يحمل عدة نسخ من الصحافة، والتف حوله الطلاب وتخاطفوا نسخ الجريدة من يده.

كانت عناوين الصفحة الاولى تسير على مايلي ..

- فرنسا تهدد بالانسحاب من السوق الاوربية المشتركة
- حسين اية احمد عميل لاسرائيل

- من رئيس التحرير الى رئيس الجورنال فيكتوروزيل
- مجلس تاديب للطيارين
- اتحاد الكرة يطالب ب ١١ الف جنيه لشركات الطيران
- زيارة الامبراطور هيلا سيلاسي للخرطوم
- ثم صورة كبيرة تضم فالنتينا ويوريس يقروف وكونستنتاين وفلاديمير يلوحون للجماهير التى احتفلت بهم.

ولم يكن ايا من هذه العناوين هو العنوان المنشود الذي دارت عيون الطلاب بسرعة تبحث عنه.

وبحثوا في الصفحات الداخلية، فواجههم بالبنط العريض :

- ١٤ الفِ جنيه عجز في خزينة اتحاد الكرة
- تحويل بقية المباريات الدورية لاستاد الخرطوم

وتجمعت نذر العاصفة.

لم يكن الطلاب في وضع يسمح لهم بان يكبتوا عواطفهم، فتزاحمت الاسئلة والاستفسارات والاستنكارات منصبة على رئيس تحرير (الصحافة)، كانوا كلهم يتحدثون في وقت واحد. حاول ان يهدئهم ليقول لهم شيئا، ربما ليقول لهم ان (رسول الداخلية) جاءه بالتحذير والوعيد من نشر اي شيء عن حوادث الجامعة. لكنهمِ لم ينصتوا، ولم يسمعوا، ولم يهداوا، فلم يجد غير ان ينصرف عنهم وهو حزين مهمومِ من هذا الوضع العسكري الغريب الجاثم على صدر البلاد.

وجاء بعدهما السيد ميرغني حمزة. ولعل من الحقائق التي لم يعرفها الناس بعد ان السيد ميرغني حمزة كان اول من جاء من السياسين القدامى الى مستشفى الخرطوم في تلك الليلة، وانتظر مع الاساتذة والطلاب، وشارك في تلك الليلة بالاتصال ببعض الشخصيات السياسية، وفي الصباح ارسل اول برقية استنكار للفريق عبود.

ثم جاء السيد الصادق المهدي يحيط به بعض رجال الانصار في الثانية صباحا، والتف حوله الطلاب، فتحدث اليهم حديثا قصيرا لم يتعد الدقيقتين. قال : لقد وصل الحكم العسكري حد الجبروت والطغيان ويجب ان نقضي على الجبروت والطغيان، وربنا يرحم الفقيد.

ثم قابل عم القرشي الذي كان جالسا على الارض فعزاه وانصرف.

كان المستشفى في حالة من الهرج والزحام الشديدين، وقد ابلغ الدكتور عبد الحليم محمد، وهو في حفل العشاء، بالتلفون بحوادث الجامعة فجاء لتوه ووصل المستشفى مع بداية وصول الجرحى، واستطاع ان يدير الامور في المستشفى بطريقة جنبت البلاد الكثير من الماسي.

فمنذ وصوله عمل على تنظيم الوضع في المستشفى، وبعد مسح عام للحوادث اخر علاج من كانت اصاباتهم خفيفة، وجمع الاصابات الخطيرة في منطقة واحدة. لم تعلن حالة الطوارىء في المستشفى انما اعلنت التعبئة العامة، ولم يمض وقت طويل حتى كان كل اطباء مستشفى الخرطوم ومستشفيات العاصمة الاخرى قد وصلوا وباشروا اعمالهم دون ان يعلنهم احد بالحضور.

وجه الدكتور عبد الحليم محمد الجراحين لكي يقسموا المصابين الى اربعة اقسام : الجروح البسيطة، والمتوسطة، والخطيرة، ثم الجروح التي نزف منها دم غزير.

وبسرعة كانت غرفة العمليات قد اعدت للعمل. كان اصحاب الجروح الخطيرة هما : بابكر حسن عبد الحفيظ ووديع السنوسي.

في تلك الاثناء سمع الدكتور عبدالحليم محمد ان الاسعاف قد منع من دخول الجامعة رغم وجود بعض الطلاب المصابين فيها، فكلف الدكتور حاج عبد الله ليتصل بالبوليس ويبحث الموضوع معه.

وفي نقس الوقت جاء السيد احمد عبدالله ابارو مدير البوليس للمستشفى. كان يلبس الملابس المدنية، فذهب اليه الدكتور عبد الحليم محمد وقال له في انفعال : كفاية البوليس ضرب الطلاب وجرحهم وقتلهم، كمان يمنع الاسعاف من الدخول للجامعة عشان نعالجهم.

فاعتذر ابارو وقال : الحكايه دي مامكن تحصل، وانا حامشي اشوف الموضوع بنفسي.

وخرج ..

واستطاع الناس، خاصة بعد هذا المشهد القصير وحديث الدكتور عبد الحليم محمد الحاد وانسحاب ابارو المفاجيء، استطاعوا ان ينسجوا القصص والحكايات حول ابارو ودكتور عبد الحليم.

قالوا : لقد جاء إبارو الى المستشفى وخلفه عدة عربات محملة بالبوليس، وانه اراد ان يقتحم برجاله المستشفى ويلاحق الطلاب، وان الدكتور عبد الحليم رفض ان يسمح لاي رجل بوليس بدخول المستشفى، وطرد ابارو نفسه.

والواقع ان ابارو جاء الى المستشفى يبحث عن ابنه الطالب بجامعة الخرطوم لخوفه ان يكون بين القتلى او الجرحى.

ولعل خلفيات العلاقة بين الدكتور عبد الحليم محمد بالحكم العسكري هي التي هيات اذهان الناس لتنسج تلك الاقاصيص.

كانت علاقة الدكتور عبد الحليم محمد بالحكم العسكري هي علاقة الرفض وعدم القبول وعدم التعاون معه من اول يوم.

وفي الايام الاولى لتولى احمد خير لوزارة الخارجية دار نقاش طويل بينه وبين الدكتور عبد الحليم محمد حول سياسة الحكومة لاخذ معونات من يوغسلافيا. ونقل النقاش بجملته للعسكريين في الوزارة فاعتبروا ذلك معارضة للنظام العسكري اصلا.

وفي نوفمبر ١٩٥٩ حينما ارسل الامام الصديق المهدي وزعماء البلاد المذكرة الشهيرة للحكومة لم يشترك الدكتور عبد الحليم محمد في التوقيع على تلك المذكرة لانه كان موظفا في الحكومة، الا ان العساكر ظنوا انه العقل المفكر وراء ارسالها.

وفي عام ١٩٦٠ حينما زار الرئيس جمال عبد الناصر السودان ثم زار الفريق عبود في منزله القريب من داخليات الجامعة، قام الطلاب بحملات معارضة ومظاهرات تصدى لها البوليس بقيادة اللواء محمد طلعت فريد، فدخلوا الدخليات وضربوا الطالبات واصطدموا بالطلاب في معركة دامية. وحاول العسكريون تبرير هذه الاحداث في بعض النقاشات مع كبار رجال البلاد. فتناقش معهم الدكتور عبد الحليم وبلغهم رايه وهو ان المشاكل السياسية والخصومات مع المعارضة لا تحل بتلك الطريقة .. طريقة العصى والسياط.

فحفظوها له ..

وبعد تعديل قانون الجامعة كان الدكتور عبد الحليم محمد والاستاذ بشير محمد سعيد على راس المغضوب عليهم والمطلوب اخراجهم من مجلس الجامعة .. فاخرجا.

وهكذا .. بعد اخراجه من مجلس الجامعة، ابعد من مجلس بلدي الخرطوم، ثم من رئاسة الاتحاد العام لكرة القدم.

في ركن في حجرة العمليات وقف الدكتور عبد الحليم محمد والدكتور حسن الترابي والاستاذان محمد صالح عمر واحمد عبد الحليم يتحدثون.

كان قد وصل اليهم ان البوليس سياخذ الجثمان عنوة ويسلمه لاهله في القراصة، فقرر الاربعة ان يتم الاتصال السريع بالاساتذة. واكد لهم الدكتور عبد الحليم انه لن يسمح للبوليس بدخول المستشفى مهما كلف الامر. وخرج الاساتذة الثلاثة وقابلوا لجنة الاتحاد، وطلبوا من اللجنة

ان توجه نداء للطلاب ليتجمعوا امام المشرحة والا يسمحوا للبوليس باخذ جثمان الشهيد، ثم طلبوا من انور الهادي (عضو لجنة الاتحاد) ومحمود عبد الله (مساعد المشرف) ان يذهبا للداخليات ويتاكدا من انه لايوجد احد من الطلاب المصابين في الداخليات، وان يعرجا على اقسام البوليس ويستفسرا عن احوال المعتقلين.

ثم نادى الدكتور الترابي رئيس الاتحاد ربيع حسن احمد فذهب اليه وتبعه عضو اخر من اعضاء اللجنة التنفيذية وبسرعة هجم عليهم بعض الطلاب وتزاحموا حولهم. فقال لهم الدكتور الترابي في لهجة صارمة انه يريد بعض اعضاء اللجنة فقط، ثم شق طريقه وابتعد قليلا.

وتحدث الدكتور الترابي الى عضوي اللجنة قائلا : نحن قررنا ان نتصل بكل زعماء المعارضة في البلاد علشان ننسق معهم الخطوات المناسبة وعشان يشتركوا غدا في موكب التشييع.

ثم قال : ان البوليس قد طلب الجثة ليدفنها او يسلمها لذويه في القراصة، واهم شيء هو ان تحولوا دون تسليمها للبوليس. وقال الدكتور الترابي انهم من الناحية الرسمية اتصلوا بالدكتور عبد الحليم محمد وطلبوا منه الاياذن بتسليمها ووافق على ذلك، لان البوليس يزعم على انه لم يطلق الرصاص. وتشريح الجثة سيكذب هذا الادعاء، وقال اننا نريد ان نحمل الجثمان في موكب في صباح الغد، فاهم شيء ان يتجمع الطلاب حول المشرحة ليحرسوا الجثمان حتى الصباح. ثم ابلغ الاعضاء انه دعا لاجتماع عاجل للاساتذة في الساعة السابعة من صباح اليوم التالي لتدارس الموقف.

وبعد ان اكتمل نقل الجرحى الى المستشفى برز السؤال الكبير للاساتذة كما برز للطلاب من قبل : مالعمل ؟

كانت الحاسة الحزبية عند الشيوعيين اقوى من غيرهم. فارسلوا رسولهم بطريقة شخصية الى الاستاذ عثمان خالد المحامي، وكان في

المستشفى، وشرح له اقتراحهم حول الوضع الراهن، واقتراحهم يقضي بان بالا يشركوا الاحزاب التقليدية بقياداتها السابقة في اي عمل شعبي منظم والا يتصلوا بها، ذلك لان الاحداث المتفجرة اقوى من الاحزاب التقليدية. واذا تطورت هذه الاحداث فستتطور دون ان يكون للاحزاب القديمة يد في تطورها، انما هنالك قوى جديدة هي صاحبة المصلحة في تفجير هذا الوضع، هذه القوى الجديدة هي الشيوعيون والاخوان المسلمون، وهم القادرون وحدهم على قيادة المقاومة، فلم لايكون العمل تحت قيادة القوى الجديدة فقط ؟

ونقل الاستاذ عثمان خالد هذا الموضوع للاخوان، او بالاصح للاخوان الاربعة الذين كانوا متحركين في تلك الليلة وهم : الدكتور حسن الترابي، محمد صالح عمر، عبد الرحيم حمدي، واحمد التجاني صالح.

واسفر لقاؤهم السريع عن رفض هذا العرض وقرروا ان يدعوا القوى الوطنية كلها للاشتراك.

وانطلاقا من هذا الراي ذهبوا جميعهم لمنزل السيد الصادق المهدي في الواحدة والنصف صباحا، وشرحوا له الموضوع، فابدى تفهما ووعيا بابعاد الموقف بسرعة، وقبل ان يشترك بكل ما يمكن الاشتراك به، وبعد خروجهم من عنده ذهب المهدي على راس وفد من الانصار الى مستشفى الخرطوم.

ثم ذهبوا للسيد اسماعيل الازهري ووصلوا الى منزله في الساعة الثانية صباحا، وشرحوا له تفاصيل الموقف، وسالهم عن الطالب المتوفي وعن اهله، فاخبروه، فوعدهم خيرا.

ثم ذهبوا للدكتور سيد احمد عبد الهادي قبيل الساعة الرابعة فقبل بلا تردد ان يشارك في موكب التشييع.

* * *

ارسلت اللجنة التنفيذية بعض الطلاب ليجمعوا كل الطلاب الموجودين في الداخليات. وحوالي الساعة الثانية عشر كان قد اجتمع مايقارب الالف طالب حول المشرحة يحرسون الجثمان.

ثم اجتمعت اللجنة التنفيذية، وكان موضوع النقاش : هل يخرج الطلاب في مظاهرة عند التشييع ام لا ؟

كان هذا الاجتماع من الاجتماعات النادرة في تاريخ الاتحاد اذ لم يكن الاعضاء يتحدثون باراء معسكرات مسبقة بل كان كل واحد منهم يتحدث عن نفسه. وفي والواقع كان كل واحد منهم يتحدث بضمير كل طلاب الجامعة. وخرج راي اللجنة بالاجماع بان يشييع الجثمان في موكب صامت وفي عودة الموكب يتحول الى مظاهرة صاخبة، وان يحمل النعش اعضاء اللجنة التنفيذية، وان يعلن الحداد العام بين الطلاب، وان يتحرك الموكب الرسمي من الجامعة بعد ان يغسل الجثمان ويجهز في مسجد داخلية النيل الازرق، وان يعلق الطلاب شارات سوداء على صدورهم.

وقابل الطلاب عم القرشي واعلموه بالتفاصيل الاخيرة. فتردد قليلا، وقال انه لايريد ان يدخل الطلاب في مشاكل اخرى مع البوليس، ولكنه رضخ اخيرا لرايهم.

عند الفجر وجهت اللجنة الطلاب ليذهبوا للجامعة ويتجمعوا امام مسجد النيل الازرق لان الجثمان سيحمل في عربة اسعاف الى هناك حيث يغسل ويصلى عليه.

وفي الساعة السابعة صباحا ذهب علي محمد احمد جاويش (امين مال الاتحاد) وفتحي محمد الفضل (عضو اللجنة) الى السوق ليشتريا الكفن، ولكنهما وجدا ان السوق لم يفتح بعد.

واخذ باقي اعضاء اللجنة يبحثون عن (عنقريب) في المستشفى، ولكنهم لم يجدوه، فذهبوا الى احد المنازل القريبة من المشرحة

واحضروا (العنقريب) ولما عادوا لم يجدوا مع الجثمان غير عم القرشي والخفير ..!

جاء طلاب المعهد الفني في الساعة السابعة واشاروا على ربيع حسن احمد بان يحاول الحصول على تصريح من قاض بتشييع الجثمان ودفنه حتى لايعترض طريقهم البوليس.

فركب ربيع وعمر الصديق عربة (تاكسي) الى منزل السيد حسن البيلى قاضي جنايات الخرطوم جنوب، وكان يسكن في الخرطوم ٣. وهناك علما ان القاضي رحل الى منزل اخر.

ولم تمض على عودتهم الى المستشفى الا دقائق معدودة حتى جاء السيد عبد الرحمن العاقب قاضي جنايات الخرطوم، واسرع من فوره الى عم القرشي ونصحه بان يحمل الجثمان الى القرية بسرعة. وكانما كان القاضي موقنا بان عم الشهيد سيستجيب لهذه النصيحة (الالزامية)، ذلك لان العربة التى ستحمل الجنازة كانت قد اعدت واحضرت امام المستشفى.

وبذل القاضي مجهودا كبيرا لاقناع عم القرشي، قال له : ان الطلاب لو حملوا الجثمان فسيكون ذلك موكبا غير مشروع وسيتعرض لهم البوليس وسيفرقهم بالقنابل المسيلة للدموع، وربما رموا النعش وهربوا.

واحدث هذا الكلام اثرا سريعا في نفسية الرجل، واضطرب اضطرابا شديدا، وفي تلك اللحظة دخل عليه ربيع ووجد معه احد الطلاب، وكان الطالب يردد كلمات القاضي عبد الرحمن العاقب.

وواجه عم القرشي ربيعا بانه لن يسمح لهم بحمل الجثمان الى الجامعة (لانه ما مستعد يخلي جنازته تتبهدل)، وهاجم الطلاب ولامهم لانهم حتى ذلك الوقت (الساعة الثامنة صباحا) لم يحضروا الكفن.

وحاول ربيع ان يهدىء من روعه، وذكره بانهم اتفقوا معه بالامس، وقال له ان الاساتذة سيحضرون بعد قليل.

فصاح فيه الرجل بانفعال : وين الاساتذة ديل ؟

وشعر ربيع بان الموقف يتطلب وجود الاساتذة.

كانت الساعة تقارب الثامنة ولم يحضر الاساتذة بعد. فخرج ربيع ووجد الاستاذ علي محمود حسنين المحامي فركب معه في عربته الى الجامعة، وهناك صادف الاساتذة وهم خارجون من الاجتماع بلبسهم الرسمي (الروب الجامعي)، واتجهوا من هناك الى المستشفى.

تجمع الطلاب امام مسجد النيل الازرق بالجامعة في انتظار وصول النعش، وطال انتظارهم، ولكن النعش لم يصل. وجاءت عربة تاكسي ونزل منها الشيخ رحمة الله وحسن محمد علي التوم (عضوا اللجنة التنفيذية) وحسين حسن ايوب (عضو المجلس)، وتجمع حولهم الطلاب ، فتحدث ايوب وقال ان الجثمان سيبقى في المستشفى لاجراء عملية التشريح لكتابة التقرير الطبي عن سبب الوفاة، وان قرار لجنة الاتحاد هو ان يسير الطلاب في موكب صامت من الجامعة الى المستشفى.

فتحرك الموكب الصامت الرهيب بشارع الجامعة غربا الى (الصينية)، ثم عرج بشارع جانبي الى النادي العربي، ثم بشارع القصر جنوبا الى ان حاذى المستشفى، ثم بشارع المستشفى متجها شرقا الى المشرحة.

وامام المشرحة بدا تجمع الطلاب والمواطنين. فبجانب طلاب جامعة الخرطوم والمعهد الفني جاء طلاب (الكلية) الاسلامية، وامتنع كل طلاب المدارس الثانوية عن الدراسة وتوجهوا الى المستشفى، وتجمعت اعداد ضخمة من المواطنين من المدن الثلاث.

وجاءت امراة عجوز، قيل انها زوجة البطل على عبد اللطيف، كانت تحمل خوزة من خوزات البوليس وتتحدث بلغة عربية ركيكة وبلهجة حماسية عن احداث المولد التي وقعت بين الانصار والعساكر.

وجاء احد ضباط الجيش مخترقا حشود الطلاب بعربته، فاوقف الطلاب العربة وكادوا ان يفتكوا بـه، ولكن (تدخل اولاد الحلال) فسمحوا له بالعودة من حيث اتى.

كان اول القادمين من السياسين في ذلك الصباح هو السيد اسماعيل الازهري، وقابله الناس بهمهمة وارتياح.

ثم وصل ركب الامام الهادي يحيط بعربته العشرات من الانصار يزيهم الابيض الناصع المميز. والواقع ان حضوره وتقدمه الموكب نزل بردا وسلاما على الطلاب للاعتقاد الشائع انذاك بان قوات الانصار اذا نزلت الى الشارع فان الحكومة لن تجازف بالتعرض لهم، لان الانصار يبحثون عن سبب للانتقام من قتلى حوادث المولد، وكان في صحبة الامام الهادي السيد الصادق المهدي.

ثم جاء السيد محمد عثمان الميرغني والدكتور سيد احمد عبد الهادي والسيد ميرغني حمزة.

ثم جاء الاساتذة يسيرون في صف واحد طويل بزيهم الجامعي الرسمي يتقدمهم الدكتور حسن الترابي. واستقبلهم الطلاب بعاصفة من التصفيق استمرت عدة دقائق حتى دخلوا كلهم فناء المشرحة. في ذلك الصباح جاء كل الاساتذة والمعيدين والسيد نائب المدير البروفسير محمد عبد الله نور. كان الاستاذ الوحيد الذي لم يحضر هو البروفسير النذير دفع الله مدير الجامعة.

طال الانتظار حول المشرحة لان تشريح الجثة استغرق وقتا طويلا.

وفي هذه الاثناء جاء السيد طه محمد احمد (مساعد المشرف لشؤون الطلبة) الى ربيع حسن احمد وقال له ان المشرف الدكتور عثمان سيد احمد يريد مقابلته.

قال الدكتور عثمان سيد احمد لربيع : انا كنت في وزارة الداخلية وعلمت ان البوليس على استعداد ليكرر نفس العملية (قال الجملة الاخيرة بالانجليزية) . ثم قال : ان البوليس مصمم على ان لا يسمح للموكب بالتحرك من المشرحة، وان البوليس السري قد تتبع خطواتكم، فاحسن تلغوا الموكب .

فقال له ربيع : كلام ذي دا ما في داعي تقوله، ثم ان الوقت متاخر جدا للتراجع او التنازل.

في الساعة العاشرة كان التشريح قد انتهى باثبات ان الشهيد القرشي قد توفي نتيجة لاصابته برصاصة اخترقت راسه. وكان الاساتذة قد تمكنوا بعد جهد من اقناع عم القرشي بان يحمل الجثمان الى الجامعة ومنها يتحرك الموكب الرسمي الى المسجد الكبير في سوق الخرطوم حيث يصلى عليه، وبعد ذلك يحمل الى قرية القراصة.

ويبدو انه لم يوافق الا بعد ان شاهد كبار زعماء البلاد في انتظار الموكب.

بعد الساعة العاشرة بقليل تحرك الموكب وقد حملْ النعش الاستاذان ابراهيم الحردلو والدكتور محمد هاشم عوض، واستاذان اخران (لم استطع الحصول على اسميهما)، وخلف النعش مباشرة يسير الاساتذة ثم لجنة الاتحاد فالطلاب فالمواطنون.

وفي شارع القصر كان البوليس قد وقف في حالة استعداد مشكلا حاجزا بين قسمي الجموعه البشرية التي تجمعت في شارع المستشفى شرق وغرب شارع القصر.

توقف سير النعش ، وتحدث عبد الرحمن العاقب، وقاطعه الطلاب بضجة عالية، ثم ارتفعت الايادي تطلب الصمت والهدوء، وتقدم الاستاذان الدكتور حسن الترابي وحسن عمر (كلية الحقوق) الى القاضي الذي كان يقف خلفه ضباط البوليس الذين كانوا محصورين بين الجموع البشرية الضخمة الغاضبة لايتعدى الخمسين رجلا بينما كان السائرون في الموكب يقدرون بالالالف.

اشترط القاضي الا يسير الموكب للجامعة، والا يخترق السوق، وان ينتهي مباشرة بعد الصلاة على الجنازة في ميدان عبد المنعم، والا تخرج بعده المظاهرة.

وتحت ضغط الظروف المحيطة وافق الاستاذان على هذه الشروط وهما يعلمان سلفا ان الزام الطلاب بشيء يحد من تصرفاتهم في تلك اللحظات امر شاق.

تحرك الموكب، وسار غربا الى شارع الحرية، وفي الطريق كان بكاء النساء ونحيبهن داخل البيوت يكاد يفتت الاكباد، ولكن الناس لزموا الصبر وكان معظمهم يجفف دموعه في صمت والم.

وتضخم الموكب وهو يسير جنوبا صاعدا كبرى الحرية، ثم هابطا، ثم متجها نحو الشرق الى ميدان عبد المنعم.

وفي الميدان انتشر الناس تحت اشعة الشمس اللاسعة وقد علا وجوههم ارهاق وصمت ووجوم. وصاح احد الناس من كان متوضئا فليتقدم الى الصلاة .واصطف الناس. وقال الدكتور الترابي للسيد الصادق : (اطلع صل بالناس). فتقدم السيد الصادق وام الناس.

بعد الصلاة كانت اعداد ضخمة من رجال البوليس تقف في جنبات الميدان. فرفع الجثمان الى عربة (لوري)،**وتجمع الناس حول العربة، وجاء القاضي وتحدث من خلال مكبر الصوت الى الجماهير طالبا منها ان تتفرق، وتبادل هو والترابي وحسن عمر بعض الكلمات.**

واخذ حسن عمر (المايكروفون) من القاضي على اساس ان يخاطب الطلاب، وصعد على اللوري، وصعد معه الدكتور الترابي وربيع حسن احمد وانور الهادي والمحاميان عثمان خالد مضوي وبشير الطيب.

واستلم الدكتور الترابي المايكروفون فوجه حديثه الى الطلاب وناشدهم ان يتفرقوا .

وبدا بعض الطلاب يهتفون : الانتقام، نريد الانتقام، يسقط العساكر.

فتحدث الدكتور الترابي وقال : ستجدوننا احرص منكم على الانتقام لدم الفقيد.

وصاح الطلاب : الشهيد .. الشهيد.

وتابع الدكتور الترابي بصوت اقرب الى الهتاف المتاجج : ان لجنة الاساتذة ستقود النضال وان قرارات سريعة ستتخذ حتى نثار للشهيد من الخونة وننتقم من سفاكي الدماء.

وصاح الطلاب : الثار الثار .. الموت للخونة.

واحس الترابي بانه ليس في وضع يستطيع معه ان يفرق الطلاب الثائرين لانه هو نفسه كان بحاجة لمن يكبح جماحه.

فاشار للطلاب بيديه، فهداوا قليلا . فقال لهم : سيتحدث اليكم السيد رئيس الاتحاد.

وعلا هتاف الطلاب، ولما هداوا قليلا بدا ربيع حسن احمد يخاطبهم : لقد سقط منا شهيد وربما يسقط شهداء اخرون ..

وعلا هتاف الطلاب : الموت للخونة.

وامسك حسن عمر (المايكروفون) قبل ان يكمل ربيع حديثه وبدا يتحدث في هدوء : ايها الطلاب .. نحن عندنا قرار من اجتماع الاساتذة بان يتفرق الموكب بعد ان ادى مهمته وسنواصل النضال..

وصاح الطلاب : لا.. لا.. لن نتفرق .. الموت للخونة سفاكي الدماء.

وردد الاستاذ في انفعال وحماس : الموت للخونة .. الموت للقتلة.

وازداد هدير الطلاب، وتحرك اللوري يحمل الجثمان، وسار ببطء وحوله الطلاب وجماهير الشعب وهم يهتفون، وامام الموكب كانت تقف عربتان من عربات البوليس، فقلبهما الطلاب واشعلوا فيهما النيران.

الثورة

في صباح الخميس ٢٢ اكتوبر سمع الطلاب المعتقلون طرقا على الباب، كان الطارق هو الاستاذ احمد سليمان المحامي. حدثهم الاستاذ عن حوادث الليلة السابقة، ليلة الاربعاء ٢١ اكتوبر، وعن ندوة الطلاب التي عقدوها في الداخليات، وتعرض البوليس لها، واشتباكه مع الطلاب في معركة دامية قتل فيها عدد من الطلاب وجرح عدد كبير. كانت الارقام التي ذكرها اكبر بكثير مما حدث بالفعل. وتنبا لهم بان ذلك الحدث سيكون نهاية الحكم العسكري.

وفي خلال نهاية الخميس وصلتهم تفاصيل جديدة تؤكد قتل عدد من الطلاب من بينهم طالبة اسمها سهام، وان الخرطوم قد خرجت كلها في تشييع احد الشهداء، وان الامام الهادي صلى بالناس صلاة الجنازة. وسمعوا عن صدام الجماهير بالبوليس وان عددا من عربات الجيش والبوليس قد احرقت.

كان كل ماينقل اليهم عبارة عن اشاعات، وكان من الطبيعي ان تتضارب الاشاعات وان يختلف كل خبر ينقل اليهم بواسطة شخص عن الخبر الذي ينقل بواسطة شخص اخر. وعاش المعتقلون في حالة قلق وترقب، واخذ كل منهم يفكر في الاسماء التي يتخيل انها ستكون في عداد الاموات، او الجرحى من بين من يعرفهم من الطلاب .

وكان يقطع الصمت المخيم عليهم سؤال او كلمة او ملاحظة تفتح لهم بابا جديدا من التفكير والتخمين والتخيلات والاحتمالات.

كان مصير الجامعة ومستقبل الاتحاد هو مثار التكهنات والهواجس، كيف سيتحدد موقف الاتحاد وماذا سيكون مصير الجامعة لو تمكن العساكر من قمع هذه الحركة ؟

وبعد ان زالت رهبة اللحظات الاولى بانفعالها واهتزازها بداوا يتناقشون في احتمالات الموقف، ولاول مرة توصلوا الى معرفة الرمز

الذي اشار به الطالبان في المستشفى في اليوم السابق، وادركوا ان الطالبين لم يكونا يقصدان ان هناك مظاهرة ستقوم في الساعة الثانية من ظهر ذلك اليوم، وانما المقصود ان الندوة الثانية ستعقد في مساء ذلك اليوم، الاربعاء ٢١ اكتوبر.

في صباح الخميس ارسل لهم الاستاذ عبد الرحيم حمدي، شقيق عبد العزيز حمدي، جهاز راديو الا ان الجهاز احتجز في مكتب ادارة السجن ولم يفرج عنه الا بعد ان اذاع الفريق عبود بيانه بحل المجلسين.

في هذه الظروف المضطربة والاخبار المتضاربة عقدت اللجنة المعتقلة اجتماعا رسميا في نهار الخميس لتقرر ما يمكن ان يتخذ من داخل السجن. كان امام اللجنة اقتراح بالاضراب عن الطعام الى ان يبت في امرهم باطلاق سراحهم او تقديهم لمحكمة عادلة.

واذا كان الاتفاق قد تم بالاجماع على مبدأ الاضراب فان الخلاف قد نشب بين الاخوان والشيوعيين حول طبيعة الاضراب.

كان راي الاخوان المسلمين الا يكون الاضراب صياما كاملا عن الطعام والشراب لان ذلك قد يؤدي الى هلاك النفس. واهلاك النفس بغير مسوغ شرعي امر لاتقره شريعة الاسلام، وكان راي الشيوعيين ان الاضراب الكامل عن الطعام والشراب سيسبب قلقا اكبر للحكومة، وقد يدفعها ذلك للاسراع في النظر في امر محاكمتهم او اطلاق سراحهم.

واتفقت اللجنة على الاضراب عن الطعام عدا بعض السوائل وحددت باللبن وشراب الليمون فقط.

بدا الاضراب بعد الاجتماع مباشرة في الساعة الثانية عشرة من منتصف نهار الخميس ٢٢ اكتوبر. وبلغت سلطات السجن بهذا القرار فاسرعت السلطات بتبليغه لوزارة الداخلية، ولكن الوزارة لم تابه للامر

ولم تحرك ساكنا. وحاول رجال السجن اثنائهم عن اضرابهم، وجاءهم مدير عام السجون ولكنه لم يفلح، فكان الطعام ياتي في مواعيده، لم تتوقف منه وجبة واحدة، ولكنه يعود من حيث اتى لاتمتد اليه يد.

واستمر الاضراب وكان كل طعام المضربين اكواب من شراب الليمون واللبن مرتين او ثلاث مرات في اليوم. وفي اليوم الخامس كانت قواهم قد خارت وبلغ بهم الضعف مداه.

وفي الجامعة كان خبر اضراب اللجنة السابقة عن الطعام قد انتشر بين الطلاب، وتبع هذا الخبر بعض الاشاعات عن ارسال بعض المضربين للمستشفى لضعف حالتهم الصحية، فارسل الاتحاد وفدا برئاسة حسن عابدين رئيس المجلس واحد الاساتذة لمقابلة اعضاء اللجنة المعتقلين ومحاولة اثنائهم عن الاضراب، ولكن سلطات السجن لم تاذن بهذه المقابلة، فكتب الاستاذ حسن عابدين خطابا ارسله مع (جاويش) السجن طمانوا فيه المتعقلين على تقدم الثورة وطلبوا منهم باسم الاتحاد ان يفكوا الاضراب.

واجتمعت اللجنة اجتماعا رسميا ناقشت فيه امر رفع الاضراب.

لقد تطورت الامور من يوم الخميس تطورا خطيرا. فقد علم المعتقلون ان هناك ثورة مكتملة وان المظاهرات الهادرة لم يوقفها الرصاص، وان الاضراب قد شل جميع مرافق الحياة. وقد وضح لهم ان اضرابهم لم يكن ليغير في مجرى الاحداث السائدة، وان الاضراب عن الطعام في تلك الظروف ربما يضر بالقضية العامة اكثر من مايصلحها.

لذلك ونزولا على رغبة الاتحاد والاساتذة قررت اللجنة فك الاضراب عن الطعام.

في صباح الاحد، صباح اليوم الخامس، في الساعة التاسعة وصلهم ملحق صحيفة (الصحافة) السري. كان اول وثيقة مكتوبة تحكي قصة

الثورة تقع في ايديهم، لذلك فقد التهموا كلماته واسطره التهاما وبحثوا قائمة اسماء الجرحى من طلبة الجامعة وعرفوا لاول مرة اسم الشهيد احمد القرشي طه.

كان العدد السري لصحيفة (الصحافة) وثيقة مطمئنة عن سير الثورة، كان اكثر شيئا مطمئنا فيه هو تلك البيانات والمذكرات الملتهبة واخبار المظاهرات العاصفة، وقصة الوحدة العامة وتلاحم القوى الوطنية في السودان بكافة هيئاتها وقطاعاتها، وكل الاحزاب والشخصيات ووقوفها بصلابة ضد الحكم العسكري.

وغشيتهم انذاك اول بارقة من الامل في نجاح الثورة.

ثورة في كوبر

عاش اعضاء اللجنة التنفيذية المعتقلة في تلك الدوامة العنيفة من الاحتمالات والترجيحات، كانت تصلهم الاخبار والاشاعات فلا يدرون اي جزء يصدقون واي جزء يكذبون.

وفي الساعة العاشرة من صباح الاثنين ٢٦ اكتوبر مر بهم الاستاذ احمد سليمان وهو في طريقه الى الخارج بعد ان انهى مدة اعتقاله، كان يرتدي الزي السوداني الجلابية والعمامة، وفي اثناء الوداع قال لهم بين الجد والهزل : لو نجحت الثورة فاننا سنقيم لكم عشرة تماثيل توضع في مكان عام في العاصمة.

ومضى اليوم بطيئا متثاقلا. كان الاستاذ احمد سليمان يمثل وكالة لتوزيع الاخبار، وقد انقطعت اخبار هذه الوكالة بخروج الاستاذ من السجن في ذلك الصباح.

لم يبق الا مصدر واحد للاخبار المؤكدة وهو الراديو الذي يملكه الاخوان ابو الدهب. اما الفراش الذي كان يمدهم بالاخبار والاشاعات من الخارج فلم يكن لكلامه اي وزن عندهم.

وفي مساء الاثنين ومن خلال راديو احمد ابو الدهب سمع المعتقلون خطاب الفريق عبود القاضي بحل المجلس الاعلى للقوات المسلحة ومجلس الوزراء، وتاكدوا الان ان الثورة ناجحة.

وجلسوا يتجاذبون اطراف الحديث، ويخوضون في الفروض، ويثيرون التكهنات، ويقلبون اوجه الاحتمالات، وهم لايكادون يصدقون ان يستسلم الجيش بهذه السهولة.

ودار النقاش وكثرت الاحتمالات حول من سيتولى السلطة بعد الجيش ؟

وقفزت الى اذهانهم صورة الاحزاب السياسية المهلهلة التى سلمت الحكم لقيادة الجيش قبل ست سنوات، ولكنهم استبعدوا اي احتمال لعودة تلك الاحزاب للعمل السياسي بصورتها القديمة. كانوا يعتبرون ان فترة الحكم العسكري واندلاع الثورة درس بليغ للاحزاب لتغير في مناهجها وفي تفكيرها وفي قياداتها وفي اسلوبها وفي تخطيطها للمستقبل .

ومن بعيد وفي حوالى الساعة الحادية عشر مساء بداوا يسمعون على البعد اصوات المظاهرات الصاخبة التي ملات الشوارع على غير موعد بعد حل المجلسين، واخذت الاصوات تقترب شيئا فشيئا من سجن كوبر، فسالوا السجان الذي كان يقف في برجه العالي فوق سور السجن، سالوه عن المظاهرة. فقال لهم انه يرى مظاهرة ضخمة قادمة من الخرطوم ومتجهة نحو سجن كوبر.

ووصلت المظاهرة باب السجن. كان الطلاب يعتقدون ان المتظاهرين يريدون اخراج السجناء السياسيين وعلى راسهم اعضاء اللجنة التنفيذية بالقوة.

فعقد الطلاب اجتماعا قصيرا وقرروا ان لا يخرجوا اذا فتح المتظاهرون امامهم الابواب، وانتدبوا احدهم ليتحدث الى المتظاهرين

ليهنئهم بنجاح ثورتهم وان يشكرهم علـى جهودهم في انجاح الثورة والحضور اليهم في السجن وعدم نسيانهم لهم فـي وقت الانتصار، ثم يطلب منهم ان يتركوهم في السجن حتى يخرجوا بالطريق القانوني السليم، وان يطمئنوهم بان بقاءهم في السجن لن يدوم طويلا.

وصح ماتوقعه الطلاب ..

فقد ارتفع صوت الضرب على الباب الخارجي للسجن حتى تم تحطيمه، ووجد المتظاهرون امامهم بابا اخر هو الباب المؤدي الى الساحة التي يسكن فيها عتاة المجرمين الذين تحدثنا عنهم من قبل. وانتهز المساجين الفرصة وبداوا من الداخل يساعدون المتظاهرين في الخارج في تحطيم الباب مستعملين بعض مواسير المياه وكتل الاخشاب، حتى كسروه وافلح بعض المساجين في الهروب.

ولم يطل الزمن حتى حاصرت الدبابات والجنود سجن كوبر، واستطاعوا ان يجلوا المتظاهرين عن السجن بعد ان بذل حراس السجن جهدا كبيرا في اقناع المتظاهرين بان هناك بعض المجرمين الخطيرين، وانهم لو خرجوا لاثاروا الرعب في العاصمة وزادوا نيران الفتنة اشتعالا.

وانطلقت اشاعة قوية بين المساجين بان امرا قد صدر لبعض الضباط المحاصرين للسجن بضرب السجن ونسفه وقتل جميع من فيه.

وبينما قوات الجيش تحرس السجن من الخارج انطلق السجناء (المجرمين) الذين كسروا بابهم كما بينا، انطلقوا داخل السجن في عملية تخريب واسعة النطاق، حتى يجدوا الفرصة للهروب اذا عمت الفوضى وارتبك الامر.

فاشعلوا النيران في مكتبة السجن، واقتحموا بعض المكاتب واشعلوا فيها النيران، واتجهوا الى الورشة التي كانت تحوي بعض اعمال السجناء اليدوية كالسجاد والكراسي وغيرها من الادوات

المنزلية المصنوعة من الصوف والسعف والقطن والخشب والخيزران والحديد، واشعلوا فيها النيران. وارتفعت السنة اللهب الى عنان السماء وامتلأ جو السجن بدخان كثيف حتى خفت ضوء الانوار . وانتاب السجناء السياسيين وخاصة اعضاء اللجنة خوف شديد. كان مصدر الخوف هو ان تمتد السنة اللهب الى اسلاك الكهرباء فيحترق السجن باكمله.

واتجهت مجموعة المجرمين الى الباب الذي يفصل الورشة والحوش الذي يسكن فيه الاخوان ابو الدهب، وبداوا في كسر الباب وهم يرددون الهتافات التي كان يرددها المتظاهرون وينادون بالحرية وسقوط الظلم والظالمين.

وتحدث احمد ابو الدهب الى الطلاب وطلب منهم الا يبدوا اي نوع من الخوف او المقاومة اذا افلح المساجين في كسر الباب ودخلوا عليهم لانهم لايقصدون ان يلحقوا بهم اي اذى، قصدهم فقط الوصول الى الزنزانات في الجانب الاخر لتخليص بعض اخوانهم المساجين الاخرين، وطلب منهم ان (يجاملوا) المساجين اذا طلبوا منهم اي شيء، واذا كان في حووزتهم أي شيء ثمين فليخفوه.

كانت الزنزانات التي يود هؤلاء السجناء الوصول اليها تقع في الطرف الاخر من السجن، وكان عليهم لكي يصلوا اليها ان يكسروا الباب الذي يفصل بينهم وبين الاخوان ابو الدهب، ثم الباب الذي يفصل بين ابو الدهب وطلبة الجامعة، ثم الباب الذي يفصل بين طلبة الجامعة والاستاذ احمد سليمان ومجموعته، ثم بعد ذلك الباب الرابع الذي يقودهم الى ساحة الزنزانات.

ووجدوا احد عساكر السجن في حجرة الاخوان ابو الدهب، فقبضوا عليه، والتفوا حوله في شراسة، وارتفعت اصواتهم وهم يتناقشون في مصيره. قال له احدهم : انت جاسوس، واكد الجميع هذا الادعاء بلا

نقاش، وامتدت الايادي الى عنقه وهو بينهم يرتجف، وتدخل احمد ابو الدهب في اللحظة الحاسمة وطلب منهم ان يتركوه، فاستجابوا لهذا الطلب وعفوا عنه وحمله ثلاثة منهم ورفعوه فوق الحائط مع (الديدبان). واخرج احد المساجين سكينا وقال : (ياخوانا مانكرم بيه)؟ ويبدو ان الفكرة لم تجد قبولا عندهم، فعادت السكين الى مكانها.

وقال لهم احمد ابو الدهب وهو يشير الى الحائط الذي يفصله عن الطلاب (الحوش ده فيه طلبة فما تمشوا تزعجوهم).

فقالوا له (نحن عاوزين نخرج الطلبة من السجن لان الشعب ينتظرهم في الخارج).

فقال لهم : (الشعب رجع، والسجن محاط بالجيش، وان اي انسان يطلع سوف يضرب بالرصاص، وانتم تريدون الهروب فقط تحت ستار انقاذ الطلاب، والطلبة سيخرجون معززين مكرمين كما دخلوا معززين مكرمين).

ولكنهم لم يستمعوا لهذا القول.

وبداوا يكسرون الباب الذي يفصل الاخوان ابو الدهب وطلبة الجامعة. وطلبوا من الطلاب ان يساعدوهم في كسر الباب من الناحية الاخرى.

ولم يكن للطلاب خيار في ذلك الموقف العصيب، ولم يكن هناك بدا من ان يساعدوهم حتى انكسر الباب، ودخلوا عليهم في شكل مظاهرة وهم يهتفون باصوات عالية : عاش الشعب .. عاش الشعب. فتجاوب معهم الطلاب ورددوا وراءهم الهتاف بحياة الشعب، وسلموا عليهم بالايادي واحدا واحدا، وشكروهم على قيامهم بالدور القيادي الكبير في اشعال نار الثورة، وطمانوهم على حياتهم وممتلكاتهم واخبروهم بانهم يودون فقط الوصول الى بعض اخوانهم المحكوم

عليهم بالاعدام او التابيد والقابعين في الزنزانات في الجانب الاخر من السجن.

كان احد المساجين يحمل كتابا مجلدا في يده وكان يظنه مصحفا، وقد اخذه من المكتبة التي اشعلوا فيها النيران في تلك الليلة. فسلمه الى حافظ الشيخ وقال له : (المصحف ده هدية)، ولم يكن الكتاب مصحفا انما كان (موطا الامام مالك)، كان حافظ قد ارسل لحيته في ايام السجن، وربما كان السجين قد ظنه (شيخ الطلاب).

وخف عن الطلاب ما انتابهم من روع، وحاولوا جهدهم اخفاء سكاكين الفواكه والمطبخ التي كانوا قد اعدوها للمقاومة والدفاع في حالة وقوع اشتباك بينهم وبين السجناء.

ومد احد السجناء يده الى (بشكير) احد الطلبة، فانتهره الباقون فترك (البشكير).

كانت العلامات المرتسمة على وجوههم توحي بالاجرام المتاصل، واجسامهم الضخمة توحي بالارهاب والرعب.

واتجهوا نحو الباب الشرقي الذي يفتح على ساحة احمد سليمان، كان الباب يتكون من اعمدة من (السيخ) مثبت عليها الواح من الزنك، ولم يجدوا صعوبة في تحطيم الزنك بينما استعصت عليهم اعمدة الحديد. فتذكر احدهم قطعة ضخمة من الخشب كان قد راها في جولتهم تلك فاسرع باحضارها ووضعها بجانب الحائط ليتسلق بواسطتها الجدار.

وهنا انهمر على المساجين وابل من رصاص الحراس، فتراجعوا في خوف ظاهر.

كان اطلاق الرصاص منصبا على الفناء الذي تقع فيه الحجرتان اللتان يسكنهما الطلاب، ونالت الحجرتان منه نصيبا كبيرا. كانت نوافذ

الحجرتين موصدة بصورة لا تشكل اي حاجز امام الرصاص الذي بدا ينهمر كالمطر.

وتحدث اليهم احمد ابو الدهب في اللحظات الحرجة. وابو الدهب من ضباط الجيش المدربين ويعرف المواقف التي يمكن ان يتقى بها الانسان الرصاص، لذلك فقد وجههم بان لا يتحركوا في الحجرة او الفناء بل يبقوا في اسرتهم او على الارض حتى لا يصيبهم الرصاص الطائش.

ولم يكن هذا التوجيه يحتاج الى تعقيب او نقاش، فقد كان الطلاب في حالة خوف شديد، ووضع كل منهم نفسه في الموضع الذي يظن انه سيحميه من الرصاص، وبلغ الرعب باحدهم الحد الذي جعله يدخل تحت السرير ويتغطى بالملاءة ظنا منه ان الملاءة ستحميه من الرصاص.

استمر اطلاق الرصاص على حالة متقطعة حتى الثالثة صباحا. كان السجناء يشرعون في تحطيم الباب كلما توقف اطلاق الرصاص، وحينما يحس الحراس ببداية تجدد العمل لتحطيم الباب يبدا الرصاص ينهمر فيبتعد السجناء عن الباب الذي كان كل السلاح مصوبا اليه.

وفي الساعة الرابعة صباحا كان التعب قد اخذ من المساجين المتمردين كل ماخذ وخارت قواهم بعد نضال دام نحو خمس ساعات، فعقدوا مجلسا لتبادل الراي واتخاذ موقف موحد حول قضية تخليص اخوانهم.

كان الصباح قد انبلج، فخافوا ان يجدهم (الشاويش النبطشي) وهو في مرور الصباح على هذه الحالة، فقر رايهم، باستثناء واحد منهم، على العودة الى اماكنهم في السجن.

ذلك الواحد الذي شذ على راي الاغلبية كان هو الوحيد الذي دعا لاستمرار النضال حتى النصر لان اخاه كان يقبع في الجانب الشرقي

في احدى الزنزانات ينتظر تنفيذ الاعدام فيه بعد ايام، ولما احس هذا السجين البائس برفاقه يتخلون عنه ويستسلمون الى الرجوع الى مصيرهم المحتوم، لم يملك الا ان يشبعهم بالوان الشتائم، ثم اعتزلهم وجلس وحيدا بعيدا يندب حظه وحظ اخيه العاثر، واخيرا تبع رفاقه فعادوا وعاد معهم من حيث اتوا.

رغم كل هذا التحطيم والتخريب والفوضى لم يدخل السجن اي واحد من الحراس او من المسئولين، ويبدو ان ذلك كان تنفيذا لقوانين السجن التي تمنع دخول اي من المسئولين او الحراس الى السجن في الفترة مابين غروب الشمس وشروقها خوفا عليهم من بعض المجرمين داخل السجن.

لم يذق الطلاب طعم النوم طيلة تلك الليلة، ولما عاد السجناء الى اماكنهم قام الطلاب وادوا صلاة الصبح وتلوا جزءا من القران الكريم.

وفي الساعة السادسة صباحا التقى الطلاب لاول مرة وجها لوجه مع اليوزباشي احمد ابو الدهب والصاغ محمود سوار الدهب، وتصافحوا وجلسوا في حلقة انس تخللها عصير البرتقال.

ثم قاموا بجولة داخل السجن في المناطق التي لم يروها من قبل. كانت الورشة بكل معداتها قد اصبحت رمادا الا من بعض الاعمدة والمواسير الحديدية، ولم تكن حالة المكتبة باحسن من حالة الورشة.

وفي طوافهم مروا بفناء واسع جمع فيه كل السجناء واجلسوا على الارض في صفوف متراصة وبدا (الجاويشية) وبعض الضباط في استجوابهم.

وعاد الطلاب الى مجلسهم الاول في (ضل الضحى) مع اكواب العصير، وفجأة دخل عليهم مامور السجن والضابط وطبيب السجن يتبعهم رتل من العساكر وامروهم بالعودة الى حجراتهم. ولم ينتصف النهار حتى كانت الابواب قد اصلحت واوصدت من جديد.

الحرية

اما وقد انتصرت الثورة وحل الفريق ابراهيم عبود المجلس الاعلى للقوات المسلحة ومجلس الوزراء وسمح لمظاهرات البهجة ان تملا شوارع الخرطوم، اما وقد حدث كل ذلك فلم يكن الطلاب يتخيلون انهم سيمكثون داخل السجن الا لحظات يخرجون بعدها للمشاركة في فرحة النصر التي وضعوا لبنتها الاولى. لذلك فقد قضوا صباح الثلاثاء يملاهم هذا الشعور وينتظرون نبا الافراج عنهم في اي لحظة ، فجمعوا اوراقهم وكتبهم ورتبوا ملابسهم.

وطال انتظارهم حتى منتصف النهار، وانذاك كانت الابواب التي حطمها السجناء في الليلة السابقة قد اصلحت واعيد اغلاقها من جديد.

وجاء المساء والليل بطيئا ثقيلا، وبدا القلق يزحف اليهم مع زحف الظلام، وجاء يوم الاربعاء ومر وكانه عام كامل وهم لايدرون سببا واحدا لحجزهم بعد نجاح الثورة. وفي صباح الخميس وهم يتناولون طعام الافطار دخل عليهم الجاويش وطلب منهم ان يجمعوا ممتلكاتهم وملابسهم، وقال انه سيعود اليهم في الساعة العاشرة لاخراجهم نهائيا من السجن حسب اوامر وزارة الداخلية.

فرفعوا ايديهم عن الطعام، ودبت الحركة في اوصال التجمع الصغير استعدادا للخروج، وودعوا الاخوان ابو الدهب ووعدوهم بالسعي لاخراجهم ماوسعهم ذلك.

وبعد ان ودعهم ضابط السجن واشاد بسلوكهم وشكرهم على حسن تعاونهم، بعدها خرجوا الى الباب الخارجي حيث وجدوا اعضاء اللجنة التنفيذية للاتحاد ومندوبين عن الجبهة الوطنية للهيئات. فركبوا عربة (البولمان) التابعة للاتحاد الى وزارة الدخلية حيث ابلغوا ان السيد حسن على عبد الله وكيل وزارة الداخلية يريد مقابلتهم.

ولقد تحدث الى السيد التجاني سعيد داؤد عضو اللجنة التنفيذية المعتقل فقال : (في طريقنا الى وزارة الداخلية كان اعضاء اللجنة الجديدة للاتحاد المرافقون لنا يحدثوننا عن المعجزة التي حدثت، وعن المظاهرات التي زلزلت اركان الحكم العسكري، وعن الجبهات التي تكونت لقيادة النضال ، وكنا نستمع الى ذلك وكاننا في حلم، ذلك اننا لم نكن نتصور ان الجماهير التي كنا نخرج من وسطها في المظاهرات في السنين الماضية فتهرب منا كما يهرب السليم من الاجرب، لم نكن نتصور ان هذه الجماهير ستقود هذه المظاهرات الدافقة لتصنع ثورة فريدة في الشارع الاعزل).

وفي مكتب وكيل وزارة الداخلية في الطابق الثاني من مبنى الوزارة، رحب بهم الوكيل وهناهم بنجاح الثورة، وتحدث اليهم باسى وحزن عن حادث الاربعاء (حادث القصر) المؤلم، وعن خطورة الموقف الراهن اذ ان البلاد تعيش بلا حكومة ولا اجهزة دستورية اخرى، وناشدهم ان يذهبوا الى الجامعة راسا، وان يعملوا على تهدئة الخواطر لان الناس اذا شعروا بهم سيحملونهم وسيخرجون في مظاهرات ضخمة ربما ينتج عنها اخلال بالامن والنظام.

وبينما كان يتحدث اليهم كانت الايدي تمتد الى الصحف المبعثرة على مكتبه ذلك لانهم كانوا منقطعين عن اخبار الثورة طيلة مراحلها الاولى.

ومن مكتب الوكيل ذهبوا الى مستشفى الخرطوم حيث طافوا على جرحى الثورة، ثم ذهبوا الى دار اساتذة جامعة الخرطوم مقر الجبهة الوطنية للهيئات.

الهوامش

(١) هو السيد اسماعيل الازهري
(٢) تعديل قانون الجامعة في اول فبراير عام ١٩٦١
(٣) كانت تقديرات الحكومة كالآتي :
- القنديلة ١٧٨ر٤٥ شجرة، ١٠ جنيه لكل شجرة.
- البركاوي ٢٢٠ر٦٦ شجرة، ١٠ جنيه لكل شجرة
- البرتمودة ١٩٢ر١٠٨ شجرة، ٨ جنيه لكل شجرة
- الجاوة ١٤٠ر٢٤٠ شجرة، ٥ جنيه لكل شجرة
- الذكور ١١٧ر١٢ شجرة، ١ جنيه لكل شجرة
- تصبح جملة الاشجار ٩٤٩ر٢٧١ شجرة، وجملة التعويضات عنها ٢٥٣ر٢٩٣ر٢ جنيه
- وكانت تقديرات اللجنة القومية ٦٤٧ر٥٨٦ر٣٣ جنيه
(٤) من منتصف يونيو ١٩٦٩
(٥) الزعماء الذين تم اعتقالهم ورسالهم الى ناقيشوط في الجنوب في ١٢ يوليو ١٩٦١ هم : اسماعيل الازهري، عبد الله خليل، محمد احمد محجوب، مبارك زروق، محمد احمد المرضي، عبد لله عبد الرحمن نقد الله، عبد الخالق محجوب، ابراهيم جبريل، احمد سليمان، امين التوم، عبد الله ميرغني، عبد الرحمن شاذلي، شاخور
(٦) كان مجلس شورى الانصار الذي اختار الامام الهادي المهدي اماما للانصار يتكون من السادة : الهادي المهدي، الصادق المهدي، عبد الله الفاضل المهدي، احمد المهدي، يحي المهدي.
(٧) لجنة الاتحاد التي فصلت في صباح ١٨ ديسمبر ١٩٦٢ لمدة عام كانت برئاسة مجذوب سالم البر.
(٨) من اشهر المحامين الذين اعتقلوا في فترة الحكم العسكري الاساتذة : محمد احمد محجوب، مبارك زروق، محمد احمد

المرضي، احمد سليمان، احمد زين العابدين، الرشيد الطاهر بكر، جوزيف قرنق، عبد الماجد ابو حسبو

(٩) كتاب (ثورة شعب) ص ٢٨٨ وما بعدها

(١٠) قيل ان ممن حضرها اللواء المقبول الامين الحاج وزير الداخلية واللواء محمد نصر عثمان وزير الاستعلامات والعمل

(١١) احد الوزراء الجنوبيين في حكومة السيد الصادق المهدي ثم محافظ الخرطوم، ثم عضو مجلس االسيادة منذ ١٧ مايو ١٩٦٨

(١٢) الاحد ١١ اكتبر ١٩٦٤

(١٣) تحولت الداخليتان الى كليتي الحقوق والاقتصاد

(١٤) الوزير هو محمد احمد عروة

(١٥) كان شاشاتي هذا قد تعرض لاحد المواطنين بالضرب ومات المواطن تحت ضرباته

الفهرس